

قوارب النجاة في حياة الدعاة




منتدى إقراء الثقافي

قوارب النجاة في حياة الدعاة

اسم الكتاب : قوارب النجاة

مؤلـــف : فتحی یکن

تاریخ‌انتشار: بهار ۱۳۷۰

قطع وصفحه : ۱۳۶ صفحه- رقعی

چاپخـانه : چاپ نهضت

تیـــراژ : ۱۰۰۰

ناشـــر : مؤلف

قوارب النجاة

في

حياة الدعاة

فتحي يكن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. بلغ الرسالة وادى الامانة .. ونصح الأمة .. وجاهد في الله حق جهاده ونحن على ذلك من الشاهدين . .

وبعد : فان هذا الكتاب هو خلاصة لأحاديث (تربوية) ألقيت في مراكز مختلفة على فترات متفاوتة من الزمن ..

لقد تناولت هذه الأحاديث اهم وابرز العقبات والشدائد التي تواجه دعاة الاسلام . كما تعرضت للسمات والقسمات الايمانية التي يجب ان يتصف بها الدعاة إلى الله ليكونوا ربانيين ، وليتمكنوا من مواجهة هذه التحديات والتغلب عليها بعون الله ..

ويتضمن الكتاب اربعة موضوعات رئيسية :

الموضوع الأول :

ويعرض للشدائد الخمس التي يمكن ان يتعرض لها كل مسلم فضلاً عن كل داعية آمن بالله رباً وبمحمد نبياً وبالقرآن دستوراً، والتزم بما آمن به. وهي ما وردت في حديث رسول الله ﷺ :

١ – مؤمن يحسده
٢ – ومنافق يبغضه
٣ – وكافر يقاتله
٤ – وشيطان يضله
٥ – ونفس تنازعه

الموضوع الثاني :

ويعرض للمواصفات الايمانية التي يجب ان يتحلى بها الأخوة العاملون للاسلام والدعاة إلى الله في كل عصر ومصر ليكونوا ربانيين . وهي ما أشارت اليها الآية الكريمة :

١ – التائبون
٢ – العابدون
٣ – الحامدون
٤ – السائحون
٥ – الراكعون الساجدون
٦ – الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
٦ – والحافظون لحدود الله

الموضوع الثالث :

ويعرض للزاد الذي يجب ان يتزود به الدعاة إلى الله لسفر طريق القيامة ، وهو ما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله :

١ — صم يوماً شديد الحر ليوم النشور .
٢ — وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور .
٣ — وحج حجة لعظائم الأمور .
٤ — وقل كلمة حق وأمسك عن كلمة باطل .
٥ — وتصدق بصدقة واخفها .

الموضوع الرابع :

ويعرض لعدد من قوارب النجاة التي على دعاة الاسلام ان يستهموها كيما يبلغوا بها شطئان السعادة في الدارين .. منها :

١ — قارب معرفة الله والايمان به .
٢ — قارب عبادة الله والاقبال عليه .
٣ — قارب ذكر الله .
٤ — قارب الخوف من الله .
٥ — قارب مراقبة الله .
٦ — قارب حب الله .
٧ — قارب الاخلاص لله .
٨ — قارب الرضى .
٩ — قارب حب الرسول .
١٠ — قارب حب الصحابة .

ان الغاية الأساسية من هذا الكتاب ومن الموضوعات المطروحة فيه هي التأكيد على ان دعاة الاسلام لا يمكن ان ايتحقق لهم الفوز والنجاح ما لم يكونوا ربانيين .. وان أكثر المشاكل والانحرافات والفتن التي تقع في حياة الدعوة هنا وهناك وهنالك انما مردها الاول ومبعثها الاصيل هو تقصير الدعاة بحق أنفسهم وبانشغالهم بنقل الدعوة عن الالتزام بها والانفعال معها .. وانه اذا لم يتحقق تفاعل الدعاة مع الهداية لا يمكن ان يكونوا هداة للآخرين ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

فليكن اهتمام الدعاة بالأخذ أكثر من اهتمامهم بالعطاء .. وليكن حرصهم على تزكية ذواتهم أشد من حرصهم على تزكية غيرهم ، ومعلم نفسه ومهذبها احق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم ..

ان دعاة الاسلام ، وهم يكابدون ويجاهدون لإعلاء كلمة الله .. لرفع راية الحق .. لإقامة دولة القرآن .. يجب ان يدركوا حقيقة أساسية أشار اليها إمام من أئمة الهدى في هذا العصر ألا وهي قوله (ايها الاخوان : اقيموا دولة القرآن في قلوبكم تقم على ارضكم) .

وأخيراً .. فاننا نسأل الله تعالى ان يرزقنا العمل ، والإخلاص في العمل ، والثبات على العمل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

والله أكبر ولله الحمد

ابو بلال

الموضوع الاول

الشدائد في حياة الدعاة

اولاً : مؤمن يحسده

ثانياً : منافق يبغضه

ثالثاً : كافر يقاتله

رابعاً : شيطان يضله

خامساً : ونفس تنازعه

الشدائد في حياة الدعـــاة

اعلم أيها الأخ الداعية ، ان الله لا بد مبتليك .. وانه لا بد ممتحنك.. وصدق الله العظيم حيث يقول(**آلم..أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**) وفي الحديث (اشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) (ان الله تعالى اذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط).

فدعوى الايمان بحاجة إلى دليل ، وطريق الجهاد طريق طويل تحفه الشدائد وتكتنفه المتاعب (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) .

والداعية في هذا الطريق ان لم يكن في حصن من الله ، وعلى صلة به ، واتكال عليه ، واعتصام بكتابه ، واتباع لسنة نبيه ، فهو على خطر كبير وفي شر مستطير ..

ولقد أجمل رسول الله ﷺ التحديات والشدائد التي تواجه المؤمنين به والدعاة اليه ، والمجاهدين في سبيله فقال

(المؤمن بين خمس شدائد : ١ – مؤمن يحسده ٢ – ومنافق يبغضه ٣ – وكافر يقاتله ٤ – وشيطان يضله ٥ – ونفس تنازعه) أخرجه ابو بكر بن لال من حديث انس في مكارم الاخلاق .

ولقد كشف رسول الله ﷺ في حديثه هذا عن الفتن والشدائد – كل الفتن والشدائد – التي يمكن ان يتعرض لها الدعاة إلى الله ليحذروها ، وليأخذوا لدربهم من الزاد ما يمكنهم من مغالبتها ومجاوزتها ..

فلننظر في كل واحدة من هذه الشدائد .. في أخطارها وآثارها ، وفي أسباب الوقاية منها .. والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ..

اولاً – مؤمن يحسده :

ان الحسد من امراض القلوب الفتاكة ، وقد يذهب بايمان المؤمن ان لم يثب لرشده ، ويتب إلى ربه ، وتتداركه عناية الله ورحمته . وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (دب اليكم داء الامم قبلكم ، الحسد والبغضاء . والبغضاء هي الحالقة . أما اني لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين) رواه البيهقي – ويقول (ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من الحرص على المال والحسد في دين المسلم . وان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) رواه الترمذي .

والدعاة إلى الله عز وجل وبخاصة الموفقين منهم والنشيطين والمرموقين منهم والموهوبين ، معرضون لألسنة الحاسدين وكيدهم .. يحسدونهم على علمهم وعلى كل خصلة من خصال الخير فيهم ، ثم يتحينون الفرص للايقاع بهم وتحطيمهم ..

يقول ابن المعتز (الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، طالب ما لا يجده) .

ولقد امر الله تعالى نبيه ان يستعيذ و امته من أذى الحاسدين

فقال (قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد اذا حسد) .

أما رسول الله ﷺ فقد حذر من الحسد والتحاسد ومن البغض والتباغض ، ومن التنافس والتدابر فقال (اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا و لا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً كما امركم ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، وأشار إلى صدره .. يحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم .. كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) رواه مالك والشيخان وابو داود والترمذي .

والذين يحسدون الدعاة على ما آتاهم الله من فضله وعلى ما وهبهم من علمه ، نفوسهم عليلة ، وقلوبهم مريضة ، تسول لهم المكر باخوانهم تشفياً واطفاء لغلواء الصدور . تماماً كما سوّلت (لقابيل) نفسه ان يقتل أخاه (هابيل) حسداً وسخطاً وضغينة وحقداً فقال تعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ، إذ قرّبا قرباناً ، فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك ، قال انما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين . اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من أصحاب

النار ، وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين) المائدة .

ودعوة الاسلام على مدار التاريخ القديم والحديث شهدت حوادث ذات أبعاد مأسوية كان الحسد أحد أبرز أسبابها .. لا أعني حسد الأبعدين وانما حسد الاقربين .

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهنـــــد

فكم من قادة وأئمة اتهموا زوراً وبهتاناً ، واشيعت حولهم الشائعات والأراجيف بسبب حسد حاسد مريض النفس لا يرعى فمن حوله إلاّ ولا ذمة ..

وكم من فتن اوقدت وأحقاد سعّرت بسبب حسد النفوس.

بل كم من صفوف تداعت وتصدعت ، وتبعثرت جموعها وتمزقت بفعل حسود حقود خسيس سار بالفتنة دون ان يخشى الله رب العالمين .. ودون ان يلتفت إلى قوله ﷺ (ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه . ثم تلا قوله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) .

وآفة الحسد هذه في تفاقمها وهياجها تدفع بصاحبها أو أصحابها إلى ارتكاب كل الحماقات وإلى استحلال كـــل المكروهات والمحرمات ـ كالنار في اندلاعها وهياجها تحرق

الاخضر واليابس دون ان تلوي على شيء .

فقد تسول للحاسد نفسه ان **يكذب ويلفق ويختلق** لينال من غريمه الذي يحسده .. وليته قبل ان يفعل قد ادرك عاقبة امره ، وسمع حديث رسول الله ﷺ في أمثاله (ايما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة هو منها بريء ، يشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله ان يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال) رواه الطبراني .

وقد يقع الحاسد في **الغيبة والنميمة** وهو يظن انه يحسن صنعاً .. ويبرر له شيطانه سوء عمله ليسقطه في الفتنة (ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين . ان تصبك حسنة تسوءهم ، وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

وليت الحسود يعلم ان عاقبة امره خسراً .. وان الله قد أعد له ولأمثاله عذاباً نكراً ، وخاصة للذين يصرون على الفتنة ولا يرعوون او يرتدعون ويتوبون ، فقد قال ﷺ : (الربا أثنان وسبعون باباً ، ادناها مثل اتيان الرجل امه . وان اربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه) رواه الطبراني — وقال ﷺ (من أكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه يوم القيامة ، فيقال له : كله ميتاً كما اكلته حياً ، فيأكله ويضج) رواه الطبراني وغيره — ويقول ﷺ (الغيبة أشد من الزنا ، قيل :

وكيف ؟ قال الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه ، وان صاحب الغيبة لا يغفر له ، حتى يغفر له صاحبه) رواه الطبراني والبيهقي .

ويبين رسول الله ﷺ معنى الغيبة فيقول (اتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) .

أسباب الحسد :

ولقد أجمل الإمام الغزالي في كتابه الإحياء أسباب الحسد بما يلي :

١ ـ العداوة والبغضاء : وهذا أشد أسباب الحسد ، فان من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد . والحقد يقتضي التشفي والانتقام . وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما ..

٢ ـ التعزز : وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره . فاذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالاً خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه .

٣ ـ الكبر : وهو ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه

ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له ، فاذا نال نعمة خاف ان لا يتحمل تكبره ويترفع عن متابعته ، أو ربما يتشوف إلى مساواته ..

٤ ــ التعجب : كما أخبرنا الله تعالى عن الأمم السابقة إذ قالوا (ما انتم إلا بشر مثلنا) (وقالوا انؤمن لبشر مثلنا) فتعجبوا ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم ..

٥ ــ الخوف من فوت المقصد : وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد ، فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده ..

٦ ــ حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه : وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون ــ اذ غلب عليه حب الثناء من أنه وحيد الدهر وفريد العصر وانه لا نظير له ــ فانه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال نعمته .

٧ ــ خبث النفس : وشحها بالخير لعباد الله تعالى .. فاذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى انعم الله عليه يشق ذلك عليه ، واذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به ..

كيف نواجه أهل الحسد ؟

كذلك فان من خلق الاسلام وخلق النبوة محاذرة الحاسدين ومقاطعة المغتابين وعدم الاستماع إليهم . ومجاراتهم والجلوس إلى مجالسهم ، ليدركوا شنيع فعلتهم وقبيح خصلتهم . بل ان الاسلام ليوجب على من سمع شيئاً من الهمس الآثم ان ينكره على قائله والمتحدث به ، وان يذب عن عرض أخيه ، ويلقن الوالغ في حرمات الآخرين وأعراضهم درساً من شرع الله وأخلاق الاسلام .. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله ان يعتقه من النار) رواه احمد .

ثم ليسمع الذين يجارون الحاسدين من أهل الغيبة والنميمة ، ويصغون اليهم ، ويسيرون بالفتنة معهم ، ليسمعوا قول رسول الله ﷺ في أمثالهم (من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره ، ادركه إثمه في الدنيا والآخرة) رواه الاصبهاني وقوله (ما من امرىء مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته . وما من امرىء مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته) رواه ابو داود .

وأخيراً فليحذر هؤلاء وأولئك ممن يرتعون في حرمات الناس ويتتبعون عوراتهم ليحذروا بطش الله ووعده ووعيده

على لسان نبيه ﷺ (يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله – وفي رواية في عقر بيته) رواه ابو داود .

أما دعاة الاسلام فان عليهم – ان ابتلوا بمن يحسدهم – ان يتذرعوا بالصبر والصلاة ويتعوذوا بالله من شرور نفوس الناس وشرور ظنهم وحسدهم ، ولا يخرجنهم الغضب إلى الرد والكيد وإلى اتباع غير سبيل المؤمنين ، لأنهم بذلك يصبحون مثلهم ويخسرون تميزهم وخلقهم ودينهم . والأولى ان ينفقوا مما عندهم من خير ويحتسبوا ما يصيبهم عند الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا هو بغافل عما يعمل الظالمون .. وليسمعوا قول الرسول ﷺ (ما من جرعة احب إلى الله من جرعة غيظ ، كظمها عبد ، ما كظمها عبد لله ، الا ملأ الله بها جوفه ايماناً) وليكن شعارهم قول القائل (اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس) .

ان على دعاة الاسلام ان يتميزوا بخلقهم عن سائر خلق الله .. وان حسن الخلق هو محصلة الرسالة التي بعث بها رسول الله ﷺ حيث يقول (إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وصدق حيث يقول (ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل، وأنه لضعيف العبادة . وانه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجات في جهنم) رواه الطبراني .

قال انس بن مالك رضي الله عنه (كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ ، فقال : يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع رجل من الأنصار ..... فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى . فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً . فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول . فلما قام النبي ﷺ ، تبعه عبدالله بن عمرو ، فقال للرجل : اني لاحيت أبي ، فأقسمت اني لا أدخل عليه ثلاثاً ، فان رأيت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت . فقال الرجل : نعم .. قال انس : فكان عبدالله يحدث انه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً ، غير انه اذا تعار – تقلب على فراشه – ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبدالله : غير اني لم اسمعه يقول إلا خيراً . فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت احتقر عمله، قلت : يا عبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة . ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات : يطلع عليكم الآن رجل من من أهل الجنة ، فطلعت انت الثلاث المرات ، فأردت أن آوي اليك ، فأنظر ما عملك فأقتدي بك . فلم أرك عملت كبير عمل . فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت . فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت ، غير اني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه . فقال عبدالله : هذه التي

بلغت بك) رواه أحمد باسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي .

فما أحوج الدعاة إلى سلامة القلب مع الحذر .. وإلى استقامة الخليقة مع الوعي ، وإلى ان يكونوا أقوى من ان يستدرجهم الغضب لأنفسهم إلى السقوط فيما سقط فيه الجهلاء وإلى الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء ؟ وليثقوا بأن الله تعالى الذي يعرف السر واخفى سيتدبر الأمر لا محالة (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم اينما كانوا ، ثم ينبؤهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) .

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (اوحى الله إلى ابراهيم عليه السلام : يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الابرار .. وان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان أظله تحت عرشي ، وان اسقيه من حظيرة قدسي ، وان ادنيه من جواري) رواه الطبراني .

وصدق سيد الدعاة محمد ﷺ (وجبت محبة الله على من أغضب فحلم) رواه الاصبهاني .

ويقول عليه الصلاة والسلام (اذا جمع الله الخلائق نادى مناد : يا أهل الفضل . قال ، فيقوم ناس وهم يسير ، فينطلقون سراعاً إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة ، فيقولون : إنا نراكم

سراعاً إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون . نحن أهل الفضل . فيقولون وما فضلكم ؟ فيقولون : كنا اذا ظلمنا صبرنا ، واذا اسيء الينا حلمنا . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين) رواه الاصبهاني .

ويقول (الا انبئكم بما يشرف الله به البنيان ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : تحلم على من جهل عليك .. وتعفو عمن ظلمك .. وتعطي من حرمك . وتصل من قطعك) رواه الطبراني .

ثانياً – ومنافق يبغضه :

والشدة الثانية التي يواجهها دعاة الاسلام هي بغض المنافقين وكيدهم ..

فالمنافقون موجودون في كل زمان ومكان ، لا تكاد تخلو منهم فترة من فترات التاريخ لأن مبررات وجودهم قائمة ، او يمكن ان تقوم في كل حين ...

فمنهم من يكون مبرر نفاقه تحقيق بعض المصالح الدنيوية ، فيستتر بستار التقوى والدين كيما يصل إلى مراده ..

ومنهم من تكون غاية نفاقهم الايقاع بالمسلمين وتمزيق صفوفهم وإيقاد الفتن بينهم بدافع من أنفسهم ، أو بايعاز من غيرهم فيندسون بين الصفوف لغاية في نفس يعقوب ؟

ومنهم من يكون نفاقه خلقاً ذميماً درج عليه لا ينفك عنه ، وطبعاً أصيلاً لا يكاد يبارحه او يفارقه ..

ومنهم من يتوسل بالنفاق ليكون من الحكام في حظوة ومن بطشهم في نجوة !

ومنهم من يتوسل بالنفاق ليحظى بعرض زائل ، وجاه حائل يبيع دينه بدنياه !

والنفاق قد يكون نتيجة الحقد أو الحسد او الاثنين معاً ..

والمنافقون لهم صفات وقسمات بينها رسول الله ﷺ ليسهل على المؤمنين معرفتهم ، وليتمكنوا من الحذر منهم .. من ذلك قوله ﷺ (ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وقال اني مسلم .. من اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان) رواه ابو يعلى – وقوله (اربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها .. اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر) رواه احمد – وقوله (آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر) رواه البخاري ومسلم .

ودعوة الاسلام ابتليت بهذا الصنف من الناس على مدار التاريخ .. يقبلون عليها للتخريب فيها ، أو للتشكيك بأصحابها ، او ليحققوا عن طريقها مصلحة ويصلوا إلى غاية ؟

ففي حياة الرسول ﷺ كان المنافقون لا يألون جهداً ولا يتركون فرصة للايقاع بالمسلمين إلا اهتبلوها واستغلوها (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

حديث الافك :

جاء في كتب السيرة : ان عائشة رضي الله عنها كانت قد صحبت رسول الله في (غزوة بني المصطلق) فخرجت لحاجتها ، ففقدت عقداً لها . وعندما عادت تلتمسه في الموضع الذي فقدته فيه ارتحل المسلمون ومعهم الهودج وهم يظنون انها فيه .. وعندما رجعت عائشة إلى مضارب القوم لم تجد أحداً فجلست تنتظر وهي تظن أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها . فغلبتها عيناها فنامت ، فلم تستيقظ إلا وصفوان بن المعطل يقول : انا لله وانا اليه راجعون، زوج رسول الله ﷺ . وكان صفوان قد تأخر عن القوم ، فأناخ راحلته فقربها اليها فركبتها وما كلمها كلمة واحدة ، ولم تسمع منه إلا استرجاعه . ثم سار بها حتى لحق بالجيش وقد نزل في (نحر الظهيرة) فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم على شاكلته وما يليق به .. ووجد الخبيث المنافق عدو الله ابن ابي بن سلول متنفساً وفرصة لكيده وحقده فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه ، فجعل يستحكي الأفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه .. فلما قدموا المدينة فاض أهل الإفك في الحديث ورسول الله ساكت لا يتكلم ..

لقد كانت حادثة الافك امتحاناً وابتلاء للرسول ﷺ ولجميع الأمة إلى يوم القيامة ، ليرفع به أقواماً ويضع آخرين ، ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً وإيماناً ، ولا يزيد الظالمين إلا

خساراً .. واقتضى تمام الامتحان والابتلاء ان حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً لا يوحى اليه في ذلك شيء ، لتتم كلمته التي قدرها وقضاها وتظهر على اكمل الوجوه ويزداد المؤمنون الصادقون ايماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين والصالحين من عباده . ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً ، ويظهر لرسول الله وللمؤمنين سرائرهم ، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة عائشة وأبويها ، ولتشتد الفاقة والرغبة منهم جميعاً إلى الله والذل له وحسن الظن به والرجاء منه ..

وهذا ما جعل عائشة رضي الله عنها وأرضاها عندما جاء الوحي ببراءتها (ان الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم . لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم . لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم . والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ، وقالوا هذا افك مبين) النور ١١ — ١٨ — جعلها تقول لأبويها اللذين قالا لها قومي إلى رسول الله ﷺ (والله لا أقوم اليه ، ولا أحمد إلا الله ، هو الذي انزل براءتي) .

جاء في **ظلال القرآن حول حادث الافك** (وان الانسان ليدهش — حتى اليوم — كيف أمكن ان تروج فرية ساقطة كهذه في جو الجماعة المسلمة حينذاك .. وان تحدث هذه الآثار الضخمة في جسم الجماعة ، وتسبب هذه الآلام العاتية

لأطهر النفوس وأكبرها على الاطلاق ؟

لقد كانت معركة خاضها رسول الله ﷺ وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك وخاضها الاسلام .. معركة ضخمة ، لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله وخرج منها منتصراً ، كاظماً لآلامه الكبار ، محتفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره ..

لقد احتسبها الله للجماعة المسلمة الناشئة درساً قاسياً .. فأدركهم بفضله ورحمته ولم يمسسهم بعقابه وعذابه .. فهي فعلة تستحق العذاب العظيم .. العذاب الذي يتناسب مع العذاب الذي سببوه للرسول ﷺ وزوجه وصديقه وصاحبه الذي لا يعلم عليه إلا خيراً .. والعذاب الذي يتناسب مع الشر الذي ذاع في الجماعة المسلمة وشاع ، ومس كل المقدسات التي تقوم عليها حياة الجماعة ؟

لسان يتلقى عن لسان بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إمعان نظر ، حتى لكأن القول لا يمر على الآذان ولا تتملاه الرؤوس ، ولا تتدبره القلوب — الخ ..) **من تفسير سورة النور** .

وللخط الذي يتسببه النفاق والمنافقون في الصف الاسلامي تحدثت آيات القرآن الكريم بالتفصيل عـــن سمات النفاق ومواصفات المنافقين للتنبيه اليهم والتحذير منهم .. قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون *

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون * واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء ، إلا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون * واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم انما نحن مستهزئون * الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) البقرة : ٨ – ١٥ .

بل ان الله تعالى كيما يلفت المؤمنين إلى شدة خطرهم على جسم الجماعة المسلمة اختصهم بسورة من سور القرآن هي (سورة المنافقون) قال تعالى (**اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون * اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون * ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون * واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون * سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين * هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا إلى المدينة**

ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون * يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون * وانفقوا من ما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) .

والحركة الاسلامية لم تصب بما أصيبت به من فتن – في العصر الحديث – ولم يتمكن بعض الحكام من البطش بها والتنكيل بأصحابها ، لولا نفر من المنافقين باعوا أنفسهم للشيطان . وآخرين تخاذلوا رهباً أو رغباً واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ، لبئس ما كانوا يشترون . (ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم ، أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ، وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) .

والحركة الاسلامية التي تستعصي على مؤامرات أعداء الاسلام في الشرق والغرب .. يمكن ان تنال منها او تصدعها – ولو إلى حين – القاءات منافق عليم اللسان يمشي بالفتنة بين الصفوف كما فعل المنافقون في كافة العهود الاسلامية فسعروا الفتن وأثاروا العداوات وأوقدوا الحروب بين أفراد الجماعة الاسلامية الواحدة ..

ودعاة الاسلام قد يبتليهم الله عز وجل بالمنافقين يثيرون حولهم الشائعات والأراجيف ، ويلصقون بهم الاتهامات والمفتريات زوراً وبهتاناً ..

قد يبتلون بمنافقين يرمونهم في أعراضهم وأمانتهم وشرفهم وصدقهم ودينهم وعلمهم وفي كل ما يعتزون به تشفياً من عند أنفسهم وحقداً .. كل ذلك ليمحص الله الصفوف والنفوس ويكفر الخطايا ويرفع الدرجات (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (ان تمسسكم حسنة تسؤهم ، وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط) آل عمران ١٢٠ .

والصبر على الضراء .. والالتجاء إلى الله تعالى .. والتحصن به هو ملاذ العاملين وملجأ المؤمنين من كل منافق وشيطان رجيم (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) .

ان حسن الظن بالله تعالى .. والثقة بعدله ورحمته وقدرته هي عزاء الدعاة إلى الله (الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) .

وتحصن الدعاة بالله في مواجهة النفاق والمنافقين لا يعني السكوت عن أعمالهم وعدم فضح مؤامراتهم وكشف مخططاتهم ودوام التحذير منهم والعمل على استئصالهم . بل ان ذلك واجب لا يجوز تركه أو إهماله ، لأن ترك الداء في الجسد على هذا الحال من شأنه ان يقضي عليه .. ولكن شريطة التحري

والتثبت كيما لا يؤخذ بريء بذنب سواء ، وحتى لا يظلم أحد بفعل لم يأته (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

بعض مواقف الرسول من المنافقين :

فهذا رسول الله ﷺ عندما بلغه خبر (مسجد الضرار) وهو مسجد بناه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ، ليفرقوا جماعة المسلمين – سألهم عن سبب بنائهم المسجد فحلفوا بالله ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . فأمر رسول الله نفراً من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا . ولقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك فقال (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً ، لمسجد اسس على التقوى من أول يوم احق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين . افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لايهدي القوم الظالمين ، لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة فى قلوبهم إلا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) التوبة : ١٠٧ – ١٠٨ .

وجاء في كتاب نور اليقين للشيخ الخضري صفحة ٨٣ قوله (وكان يساعد المنافقين على مقاصدهم جماعة من عرب

المدينة اعمى الله بصائرهم فأخفوا كفرهم خوفاً على حياتهم . وكان يرأس هذه الجماعة عبدالله بن أُبيّ بن سلول الخزرجي الذي كان مرشحاً لرياسة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ . ولا شك ان ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار . لأن هؤلاء يدخلون بين المسلمين فيعلمون اسرارهم ويشيعونها بين الأعداء من اليهود وغيرهم . كما حصل ذلك مراراً . والأساس الذي كان عليه رسول الله ﷺ ان يقبل ما ظهر ويترك لله ما بطن . ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم في عمل ما . فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولي عليها بعض الأنصار ولكن لم يعهد انه ولى رجلاً ممن عهد عليه النفاق ، لأنه عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو ولوا عملاً ، فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة للإضرار بالمسلمين وهذا درس مهم لرؤساء المسلمين وقادتهم ، يعلمهم أن لا يثقوا في الأعمال المهمة إلا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو إظهار ما يخالف ما في الفؤاد) .

ويحدث التاريخ الاسلامي ان أجيراً لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج من قبيلة المنافق عبدالله بن أبي بن سلول ، وضرب الأجير الحليف حتى سال دمه ، وكاد الحادث يكبر ويتطور لولا ان خرج رسول الله ﷺ وأخمد الفتنة . فلما بلغ ابن سلول ذلك غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال : ما رأيت كاليوم مذلة وقد فعلوها . نافرونا في ديارنا والله ما نحن والمهاجرون إلا كما قال الأول (سمن كلبك

يأكلك) أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . وكان في مجلس عبدالله شاب حديث السن قوي الاسلام اسمه زيد بن ارقم فأخبر رسول الله بما حصل . فأمر رسول الله الناس بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه ليشغل الناس عن التكلم في هذا الموضوع .. فجاءه أسيد بن حضير يسأل عن سبب هذا الارتحال المفاجيء فقال له : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ زعم انه ان رجع إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل . فقال لسيد والله يا رسول الله انت تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز . ثم سار عليه السلام بالناس سيراً حثيثاً حتى آذتهم الشمس فنزل بهم . وجاء رهط من الانصار إلى عبد الله بن أبي وكلموه في الاعتذار من رسول الله فلوى رأسه واستكبر ، وهنا نزلت « سورة المنافقون » تفضح عبدالله واتباعه واشياعه من المنافقين ..

ومن المنافقين (نبتل بن الحرث) وهو الذي قال فيه رسول الله (من أحب ان ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى (نبتل بن الحرث) وكان يأتي رسول الله يتحدث اليه ، فينصت اليه ويسمع منه ، ثم يأتي المنافقين يسخر من رسول الله ويقول : انما محمد أُذُنُ من حدثه شيئاً صدقه . فأنزل الله عز وجل فيه (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذُنُ.. قل أُذُنُ خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) .

ومن المنافقين (مربع بن قيظي) وهو الذي قال لرسول الله

يوم الخندق ان بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع اليها . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه (يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون إلا فراراً) .

وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون منهم ، ويستهزئون بدينهم .. فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول الله يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض . فأمر بهم رسول الله فاخرجوا من المسجد اخراجاً عنيفاً . فقام أبو ايوب خالد بن زيد إلى عمرو بن قيس وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد ، ثم اقبل إلى (رافع بن وديعة) فأمسك به ثم نتره نتراً شديداً ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد وهو يقول : (اف لك منافقاً خبيثاً ، ادراجك يا منافق من مسجد رسول الله) .

ثالثاً : وكافر يقاتله :

والشدة الثالثة التي تواجه الدعاة ــ وبخاصة في هذا الزمن ــ هي شدة الكفار ومكرهم ومؤامراتهم (ان الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ، ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون) .

فالكفار هم أهل الباطل وأشياعه وهم آعوان الشيطان واتباعه في كل زمان ومكان .. وهم أعداء الحق والايمان دائماً وأبداً وحتى تقوم الساعة ..

والصراع بين الكفر والايمان صراع قديم قدم البشرية ، وصراع طويل طول الحياة وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وصراع مرير لأنه صراع الأضداد (قل من رب السموات والأرض قل الله . قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً . قل هل يستوي الأعمى والبصير ، أم هل تستوي الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء

خلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) الرعد ١٦ .

الانبياء ومؤامرات الكفار :

والكفار كانوا حرباً على دعوة الحق منذ خلق الله آدم عليه السلام ، واستمرت هذه الحرب على طول امتداد الرسالات والرسل ، وستبقى مستمرة مستعرة حتى يأتي أمر الله ..

• فهذا موسى عليه السلام ، يتحدى فرعون بالحق لا يبالي بالموت ما دام في سبيل الله (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب . فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ، وما كيد الكافرين إلا في ضلال) المؤمن ٢٣ .

• وهذا ابراهيم عليه السلام ، يدعو قومه إلى الهدى وإلى نبذ عباده الأوثان (فما كان جواب قومه إلاأن قالوا اقتلوه أو حرقوه ، فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) .

• وهذا عيسى بن مريم عليه السلام ، يدعو بني اسرائيل إلى الله ويقول (ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا

مسلمون — إلى قوله — ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »
آل عمران ٥١ .

وهكذا كان شأن الكافرين مع أنبياء الله ورسله اجمعين ، جاء وصفهم في القرآن الكريم (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون) (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم ، اولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) آل عمران ٢١ (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً) .

الرسول ومؤامرات الكفار

أما ما لقيه رسول الله ﷺ من الكافرين فأكبر من ان يوصف وأشد من ان يتصور ؟

لقد تعرض رسول الله ﷺ لعديد من محاولات الاغتيال دبرها له الكفار ..

ففي رحلته إلى (الطائف) أغرى به الكفار صبيانهم وأثاروا غوغاءهم فرجموه بالحجارة ، وتابعوه بالسباب والشتائم وهو لا ينفك يقول (اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ،

وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، انت ربي ورب المستضعفين ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، ام إلى قريب ملكته امري ؟ ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) .

ومر رسول الله يوماً والمشركون في (الحجر) فوثبوا عليه وأحاطوا به وصاحوا قائلين : انت الذي تقول كذا وكذا ؟ فيجيبهم رسول الله بكل اعتزاز ؟ (نعم انا الذي أقول ذلك) ولقد أصابه منهم في ذلك اليوم أذى كثيراً ، ولولا أن قيض الله له أبا بكر الصديق فقد كادوا يجهزون عليه ..

وعندما بدأت طلائع المسلمين بالهجرة إلى المدينة عقد المشركون اجتماعاً في (دار الندوة) وضعوا فيه خطة لقتل الرسول ﷺ وهو نائم في بيته ، واشترك في ذلك كل بيوتات قريش (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

وبعد الهجرة .. استأجر صفوان بن أمية أحد كفار قريش عمير بن وهب لاغتيال الرسول ﷺ مقابل ان يقضي دينه ويكفل عياله .. ولما وصل المدينة لتنفيذ مهمته ودخل المسجد رآه الرسول ﷺ ، وكشف الله له سريرته ، فقال له : ادن

يا عمير . فدنا . ثم قال : ما جاء بك يا عمير ؟ فحاول عمير ان يكذب .. وعندما اصر على الانكار قال له رسول الله : بل قعدت انت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت لولا دين علي وعيال لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان دينك وعيالك على ان تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك .. ولقد أسلم عمير بن وهب بعد ذلك ..

الصحابة ومؤامرات الكفار :

ولقد تعرض أصحاب رسول الله ﷺ لهجمات عاتية من الكفار (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) .

• فيوم الرجيع قتل نفر من كبار الدعاة كانوا في طريقهم إلى عضل والقارة) لنشر الدعوة وتعليم الناس الاسلام ..

منهم عاصم بن ثابت وقد قال حين قتله :

ما علّي وأنا جلد [1] نابل [2]
والقوس فيهـــا وتر عنابل [3]

---

(١) قوي .
(٢) أجيد الرمي بالنبال .
(٣) صلب .

تزل عن صفحتها المعابـــــل [1]
الموت حـــق والحياة باطـــــل
وكل ما حم [2] الاله نـــازل
بالمرء والمرء إليــه آيــل [3]

ومنهم خبيب بن عدي . ولما اخرجوه من الحرم ليقتلوه ، قال لهم دعوني أصل ركعتين ، ثم انصرف اليهم . فقال : لولا ان تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت ، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ، ثم قال : اللهم احصهم عدداً ، ثم انشد :

وذلك في ذات الاله وان يشـــأ
يبارك عـــلى اوصال شلو ممـــزع
ولست ابالي حين اقتل مسلمـــــاً
على أي جنب كان في الله مصرعي

ومنهم زيد بن الدثنة . ولما أخرج من الحرم ليقتل ، اجتمع اليه رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب ، فقال له ابو سفيان : أنشدك بالله يا زيد ، اتحب ان محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه ، وانك في أهلك ؟ قال : والله ما أحب ان محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني

---

(١) النصال .
(٢) قدر .
(٣) صائر .

جالس في أهلي . فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً .

* وفي بئر معونة غدر الكفار بأربعين رجلاً من المسلمين كانوا في طريقهم إلى نجد لنشر دعوة الاسلام وذلك بطلب من أبي براء عامر بن مالك . ولقد قام عامر بن الطفيل في نفر من قبائل بني سليم بتطويق المسلمين وهم في رحالهم . فلما رأوا الكفار وانهم قد غدر بهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم .

* وفي أحد قتل سبعة من الأنصار وهم يدافعون عن رسول الله ﷺ .. أخرج الامام احمد عن انس رضي الله عنه ان المشركين لما رهقوا النبي يوم احد ، وهو في سبعة من الأنصار ورجل من قريش . قال : من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ فجاءه رجل من الانصار فقاتل حتى قتل . فلما رهقوه أيضاً قال : من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟.. حتى قتل السبعة ، فقال الرسول ﷺ (ما انصفنا اصحابنا) .

* وفي اليرموك قتل عكرمة بن ابي جهل في اربعمائة من المسلمين . فعندما حمي الوطيس قال عكرمة : قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن ، وأفر اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام في اربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم .. فقاتلوا حتى سقطوا جميعاً جرحى وقتل منهم خلق كثير ..

محن الأئمة والدعاة عبر التاريخ :

وتاريخ الاسلام حافل بمواقف وبطولات الأئمة والدعاة الذين تعرضوا لأبشع أنواع الاضطهاد والتعذيب والتنكيل على مر العصور ..

وان على دعاة الاسلام في كل زمان ومكان ان يحذوا حذوهم ويصبروا صبرهم ويتابعوا طريقهم ليكونوا خير خلف لخير سلف .. وان عليهم ان يدركوا انهم امتداد لدعوة مباركة أصحابها مجاهدون وشهداء وليس فقط فلاسفة وخطباء ؟ .

وسنعرض في هذه العجالة لبعض هذه البطولات التي سجلها أئمة ودعاة في مواجهة الطغيان والطاغوت .. لنتعرف إلى ثبات هؤلاء وصبرهم ، ولنأخذ من ذلك العزاء في البأساء والضراء وحين البأس ، ولتمضي كتيبة الرحمن لا يضرها من خالفها حتى يأتي امر الله ..

● من هؤلاء سعيد بن المسيب رضي الله عنه .. ذلك ان عبد الملك بن مروان عندما عجز عن ان يجره إلى صفه وهو سيد التابعين ، امر بجلده فجلد خمسين سوطاً ، ثم طافوا به اسواق المدينة ، ومنعوا الناس ان يجالسوه . فكان من ورعه انه كـــان يحذر الناس من مجالسته حتى لا ينالهم اذى بسببه .. ولقد استمر في صلابته واستمر جلده وتعذيبه حتى لقي وجه ربه رحمه الله..

● ومنهم سعيد بن جبير الامام الممتحن .. لقد تعرض لنقمة

الحجاج بن يوسف فاسق بني ثقيف وبطشه وجبروته ، فلم تضعف له قناة ولم تلن له عزيمة حتى قضى نحبه . وعندما امر الحجاج بن يوسف بذبحه ، قال (اما انا فأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله ؛ خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة ، اللهم لا تسلطه على احد يقتله بعدي) فذبح من الوريد إلى الوريد ولسانه رطب بذكر الله .. ولقد قال الامام احمد بن حنبل فيه (قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض احد الا وهو مفتقر إلى علمه) وفيات الاعيان .

● ومنهم ابو حنيفة النعمان رضي الله عنه .. فقد كان غير راض عن سياسة ابي جعفر المنصور .. وروي عن داود بن راشد الواسطي انه قال : كنت شاهداً حين عذب الامام كان يخرج كل مرة فيضرب عشرة أسواط حتى ضرب مائة وعشرة اسواط .. فلما تتابع عليه الضرب قال خفياً (اللهم ابعد عني شرهم بقدرتك) فلما اصر على موقفه دسوا له السم فقتلوه [1].

كان ابو حنيفة جلدا في جهاده قوياً في جلاده حتى وهو يلفظ النفس الاخير .. فقد اوصى بأن يدفن في أرض طيبة لم يجر عليها غصب ، أو أنها اغتصبت من قبل امير . حتى يروى ان أبا جعفر عندما بلغه ذلك قال : من يعذرني من ابي حنيفة حياً أو ميتاً [2] ..

---

(١) تاريخ بغداد .

(٢) أبو حنيفة لأبي زهرة .

● وكان منهم احمد بن حنبل رضي الله عنه .. والمحنة التي تعرض لها هذا الامام الجليل اكبر من ان يحتملها انسان ..

قال الامام احمد (فلما ضجر المعتصم وطال المجلس قال : عليك لعنه الله، لقد كنت طمعت فيك . خذوه .. اخلعوا ثيابه.. اسحبوه . فاخذت فسحبت . ثم قال : العقابين والسياط ، فجيء بالعقابين والسياط ..

ثم قال لأحد الجلادين : ادنه اوجع قطع الله يدك .. فتقدم. فضربني سوطين ثم تنحى . فلما ضرب (الامام احمد) سوطاً قال : باسم الله .. فلما ضرب الثاني قال : لا حول ولا قوة الا بالله .. فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ..فلما ضرب الرابع قال : قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .. فضربه تسعين وعشرين سوطاً ..

وهكذا تتتابع المحنة في حياة الامام احمد بن حنبل حتى يلقى الله وهو على ذلك ..

● **وكان منهم العز بن عبد السلام سلطان العلماء ..** فقد كان العز صداعاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم ..

فعندما استعان اسماعيل بالصليبيين وسمح لهم بدخول دمشق وشراء السلاح واستعان بهم على قتال أخيه نجم الدين عام ١٣٨ هـ هب العز بن عبد السلام في وجه الخيانة وأفتى بتحريم بيع السلاح لهم .. وفي خطبة له من على منبر المسجد

الاموي بدمشق اعلن آراءه بكل صراحة ، وشدد في الانكار على السلطان ، وعلى سياسته وخيانته ، ثم دعا بدعاء قال فيه : اللهم ابرم لهذه الامة ابرام رشد يعز فيه اولياؤك ويذل فيه اعداؤك ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك) .

وعندما اشار عليه المسلمون بأن يغادر البلاد وينجو بنفسه من بطش السلطان قال (والله لا أهرب ولا أختبيء ، وانما نحن في بداية الجهاد ، ولم نعمل شيئاً بعد ، وقد وطنت نفسي على احتمال ما ألقى في هذا السبيل ، والله لا يضيع عمل الصابرين) .

محن الدعاة في العصر الحديث

والدعوة الاسلامية والدعاة إلى الله تعرضوا — على امتداد نصف القرن الماضي وحتى اليوم لمؤامرات شتى من اعداء الاسلام في الداخل والخارج .. لقد اغتيل منهم من اغتيل وقتل من قتل وشرد من شرد لأنهم أصروا الا أن يقولوا ربنا الله ..

لقد اتهموا بالعمالة للاستعمار والذين اتهموهم هم العملاء والأجراء ؟

واتهموا بالخيانة ثم جاءت الايام لتدمغ متهميهم بالخيانة ؟

كانوا حرباً على الوجود الصهيوني في فلسطين من اول يوم ، وقدموا الشهداء يوم كان الحكام يقدمون لأعداء الامة الولاء ؟

كانوا حرباً على الاستعمار الغربي ، وخاضوا معارك القتال ضد الانجليز يوم كانت الهامات والمقامات تتمسح على اعتاب الاستعمار ؟

وكانوا حرباً على الشيوعية والالحاد قبل ان تتكامل مؤامراتها على الامة الإسلامية ، وقبل ان تتسبب لها بالنكسات والنكبات ؟

• ففي مصر تعرضت الدعوة واصحابها على مدار العهود السابقة لشتى انواع البطش والتنكيل والاضطهاد .. لقد واجه جيل بأكمله ممن تخرجوا من مدرسة محمد بن عبد الله مؤامرة رهيبة لتصفيته ..

● استشهد حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين عام ١٩٤٩ على ايدي الطغمة الحاكمة وضمن مخطط وضعه الانجليز للقضاء على الحركة الاسلامية التي هزت امبراطوريتهم .. وذنب الامام الشهيد انه صفع بالحق وجوه العبيد ، ودعا لإخراج الناس من عبودية الطغاة والدوران في فلك الاستعمار إلى عزة الاسلام وعبادة الله الواحد القهار .. فكان جزاؤه بضع رصاصات اخترقت جسده في وضح النهار « وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

● وفي عام ١٩٥٤ سيق العالم الجليل عبد القادر عودة إلى حبل المشنقة ، كما يساق القتلة والمجرمون ، لأنه لم يرض الدنية في دينه .. وقال للطغاة لا يوم كانت الهامات تنحني لهم رهباً ورغباً .

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (اذا رأيت امتي تهاب ان تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها) .

وفي عام ١٩٦٦ حكمت محكمة الطواغيت – ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً – بالاعدام على المفكر الاسلامي الكبير سيد قطب ، ولقد لفقت عليه دولة المخابرات يومذاك اتهامات واراجيف حملتها وسائل الاعلام باسلوب وغد خسيس لإثارة الدهماء من الناس على الحركة الاسلامية وعلى ابنائها (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

* وفي ايران : حكمت محكمة خاصة عام ١٩٥٦ على المجاهد نواب صفوى ومجموعة من مجاهدي منظمة (فدائيان اسلام) بالموت ثمناً لانحراف السياسة الايرانية وارتباطها بعجلة الاستعمار الغربي .. فقد كان الشهيد واخوانه يندون بهذه السياسة ، وينادون بانتهاج سياسة مستقلة بعيدة عن مناطق النفوذ ويدعون إلى تطبيق شرع الله في اجهزة الدولة والحكم ..

* وفي العراق اغتالت اليد الآثمة في السبعينات عدداً كبيراً من الأئمة والدعاة ، كما جرت وتجري تصفية الكثيرين في السجون والمعتقلات بل وفي بيوتهم ضمن مخطط مخيف يرمي إلى استئصال الوجود الاسلامي . ولقد كان من هؤلاء الشهداء : الشيخ عبد العزيز البدري صاحب كتاب حكم الاسلام في

الاشتراكية .. والعلامة الشيخ عارف البصري .. والمجاهد عز الدين القباني .. والمجاهد عماد الدين التبريزى .. والشهيد هاشم عبد السلام .. والشهيد عبد الرزاق شندالة .. والشهيد محمد البنا وغيرهم ..

• وفي عام ١٩٧٦ فاضت روح المجاهد مروان حديد (ابو خالد) إلى بارئها وهو في السجن تشكو إلى الله ظلم الظالمين ، بعد ان ذاق الجسد كل صنوف العذاب والاذى وبأبشع الاساليب وأحقرها واخسها ..

وهكذا تتتابع المحن في حياة الدعوة والدعاة .. فيشقى الطغاة بقتل الدعاة ، ويسعد الدعاة بلقاء الله ..

فحينما تواجه الدعوة إلى الاسلام الارهاب والسجون والمشانق وتصبح جهاداً ثقيلاً وتضحية.. حينئذ يجد الجد وينتهي اللهو واللعب ، ويتميز الذين يفهمون الدعوة جهاداً مريراً وتضحية في سبيل الله بكل نفيس ، من الذين يريدونها حياة هادئة من غير بذل ولا عطاء وكأنهم نسوا قول الله تعالى (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين . ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه لقد رأيتموه وانتم تنظرون)

قد يخيل للبعض ممن تحملهم الدعوة ويحملونها .. وممن ينقلون مبادئها دون أن يتفاعلوا معها .. قد يخيل اليهم ان بناء الامة ، وانطلاق المسيرة ، وانتصار الاسلام يمكن ان يكون بغير ذات الشوكة ، بغير معاناة او تعب ، وكأنهم نسوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) رواه مسلم واحمد والترمذي — وقوله (من خاف أدلج ، ومن ادلج بلغ المنزل ، الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة) رواه الترمذي والحاكم .

فالذين لم يعرفوا بعد طبيعة هذا الطريق عليهم ان يراجعوا الحساب ويعيدوا النظر ، قبل ان يقع الامتحان ، ويحدث ما ليس بالحسبان (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ، وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) .

ان الذين يبدأون السير في درب الاسلام كثيرون .. اما الذين يكملون الطريق فقليلون .. فنسأل الله الثبات على طريق دعوته حتى نلقاه ..

رابعاً ـ وشيطان يضله :

والشدة الرابعة التي يتعرض لها الداعية ، والتي تفوق في ضراوتها وخطرها كل الشدائد ، بل هي مفتاح كل شدة وبلاء ، وسبب كل انحراف والتواء ، تلكم هي شدة مكائد الشيطان وتلبيس ابليس ومضلات الهوى ..

والداعية يبقى بخير ـ كائناً ما كانت الشدائد الخارجية الأجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها ـ ما لم يتخاذل ويضعف امام شيطانه ..

فالشيطان هو العدو الاكبر للمؤمنين ، لا يفتأ يمكر ويوسوس ويستدرج ما بقيت الحياة وبقي الايمان (قال فبعزتك لأغوينهم اجمعين ، الا عبادك منهم المخلصين ، قال فالحق والحق اقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ،) الزمر ٨٢ .

ودعاة الاسلام يجب ان يكونوا اشد احتراساً من الشيطان منهم من عدوهم .. لأنه أعدى الأعداء وأمكر الماكرين (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، انما يدعو حزبه ليكونوا من

اصحاب السعير) (الم اعهد اليكم يا بني آدم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ، ولقد اضل منكم جبِلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) .

وخطورة ما في الشيطان وتلبيسه ووسوسته انه ان اغلق دونه منفذ جاء من ثان ، وان خنس من جانب وسوس من آخر.. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد) متفق عليه – وقال رجل للحسن ، يا ابا سعيد : أينام الشيطان ؟ فتبسم وقال : لو نام لاسترحنا ..

واذا اراد الدعاة ان يعرفوا مكائد الشيطان وطرق غوايته فحسبهم ان يستمعوا إلى قصة رواها رسول الله ﷺ حيث قال (كان راهب في بني اسرائيل ، فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها ان دواءها عند الراهب . فأتوا بها اليه فأبى ان يقبلها ، فلم يزالوا به حتّى قبلها . فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتّى واقعها فحملت منه . فوسوس اليه وقال : الآن تفتضح ، يأتيك اهلها ، فاقتلها فان سألوك فقل ماتت . فقتلها ودفنها . فأتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها . فأتاه اهلها فسألوه عنها فقال : ماتت ، فأخذوه بها ؛ فأتاه الشيطان فقال : انا الذي خنقتها وأنا الذي القيت في قلوب اهلها ، فأطعني تنجح واخلصك منهم ، قال : بماذا ؟ قال : اسجد لي سجدتين . فسجد له سجدتين ، فقال له الشيطان ، اني

بريء منك . فهو الذي قال تعالى فيه (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك)[1] .

مداخل الشيطان :

اما مداخل الشيطان إلى القلوب فأكثر من أن تحصى .. وحسبنا ان نلخص هنا بعض هذه المداخل مما ورد في كتاب الاحياء الجزء الثالث :

* **الغضب** : فالغضب يطفي التفكير والعقل . ويفتح باب النفس على مصراعيها امام هجمات الشيطان .. ولهذا كان عقل الانسان من اكبر ما يتحصن به في مواجهة لقاءات الشيطان ووسوسات ابليس .. ولهذا قال رسول الله ﷺ (ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الواعي عند حلول العقبات) .

وذكر بعض الاولياء انه قال لإبليس : ارني كيف تغلب ابن آدم ؟ فقال : آخذه عند الغضب وعند الهوى .. ولهذا حذر رسول الله ﷺ من الغضب فقال : (لا تغضب) .

* **الشهوة** : والشهوة من اوسع مداخل الشيطان إلى النفس البشرية .. واعني بالشهوة شهوات الجسد كلها .. شهوة البطن

---

(١) سورة الحشر آية رقم ١٦ .

للطعام .. وشهوة الفرج للجماع .. وشهوة النفس للمال ..

ولذلك نظم الاسلام وسائل اشباع هذه الشهوات ، وبين حدودها ومعالمها حتى لا تكون سبيلاً يدخل منه الشيطان إلى النفس ويفسدها ويخربها ..

ففي شهوة البطن حذر رسول الله من التخمة بقوله (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه) .

وفي شهوة الفرج قال رسول الله ﷺ (اضمن لي ما بين لحييك وما بين فخذيك اضمن لك الجنة) وقال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) .

وفي شهوة النفس للمال يصف الله المؤمنين فيقول (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً) ويصفهم رسول الله فيقول (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) متفق عليه .

* **العجلة** : وكثيراً ما تدفع العجلة للوقوع في كثير من الشبهات والمهالك .

فالعجلة وعدم التثبت قد يوقعان المؤمن في غيبة أخيه ..

والعجلة قد تقذف بالمؤمن للوقوع فيما حرم الله ..

والعجلة قد تتسبب بوقوع الفتن والكوارث في حياة الجماعات .

ولهذا كله كان رسول الله ﷺ يحذر من مغبة العجلة فيقول (العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى) .

* **الحسد** : ومن مداخل الشيطان واسلحته الفتاكة الحسد .. فهو يطفيء نور العقل ويعمي هدى البصيرة ، ويجعل الانسان عبداً أسيراً لحسده وحقده .. وبالتالي يدفعه لسلوك أي سبيل مهما كان ملتوياً للكيد ممن يحسده .. ولقد سبق ان اسهبنا في الكلام عن الحسد فيما تقدم ..

* **البخل** : ومن مداخل الشيطان إلى النفس البخل وخوف الفقر وهما صفتان تمنعان من بذل الخير وعمل البركة ومن الانفاق في سبيل الله والتصدق على اهل الحاجة ، بل وتبلدان الحس الانساني والشعور بشعور الآخرين .. يقول الله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم) .

قال سفيان : ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر .. فاذا قبل ذلك منه ، أخذ في الباطل ، ومنع من الحق ، وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ..

* **الكبر** : ومن عظيم مداخل الشيطان إلى النفس الكبر والغرور .. وهذا الداء العضال هو الذي هوى بإبليس من السماء إلى الأرض (قال انا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين) ولهذا كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من نفخة الكبرياء ..

* **سوء الظن بالمسلمين** : وهو من المداخل الشيطانية التي بها تنفصم العرى ، وتتقطع الاواصر ، وتتمزق الصفوف .. والتي بها تحل الفتن ، وتشيع الفاحشة ، ويعم البلاء ..

ولهذا حذر القرآن الكريم من سوء الظن فقال (يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم) وقال رسول الله ﷺ (اتقوا مواضع التُهم) .

كيف تُسد مداخل الشيطان ؟

يقول الله تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ويقول (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) .

من هذه الآيات يتبين لنا ان تقوى الله تعالى ، والاستعاذة به ، ودوام ذكره ومراقبته ، وحسن عبادته ، من أهم عوامل الوقاية من الشيطان الرجيم ..

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (اذا ذكر الانسان الله خنس شيطانه واذا غفل وسوس) .

ويُحكى ان (محمد بن واسع) كان يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم انك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا ، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم .. اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك ، وقنّطه منا كما قنطته من عفوك ، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك . انك على كل شيء قدير .

قال : فتمثل له ابليس يوماً في طريق المسجد فقال له : يا ابن واسع هل تعرفني ؟ قال : وما انت؟ قال : انا ابليس . قال : وما تريد ؟ قال : اريد ان لا تعلم احداً هذه الاستعاذة ولا اتعرض لك . قال : والله لا أمنعها من ارادها فاصنع ما شئت)

وقال ﷺ (لقد اتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني ، فأخذت بحلقه . فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت من دماء لسانه على يدي ، ولولا دعوة اخي سليمان عليه السلام لاصبح طريحاً في المسجد) اخرجه ابن ابي الدنيا وللبخاري رواية أخرى شبيهة وإسناده جيد ..

فالذاكرون الله كثيراً والذاكرات .. والتائبون إلى الله من ذنوبهم والتائبات .. والمستغفرون والمستغفرات ، هم الذين يستعصون على الشيطان ويتعبونه ثم لا يبلغ منهم مراده ..

اما الغافلون عن ذكر الله .. اما المصرون على المعصية .. اما المتكاسلون عن العبادة .. الذين لا تتجافى جنوبهم عن المضاجع . الذين جعلوا الدنيا اكبر همهم ، فهؤلاء كالخاتم في يد الشيطان يصنع بهم ما يشاء .

قال وهيب بن الورد : بلغنا ان ابليس تمثل ليحيي بن زكريا عليهما السلام فقال اني اريد ان انصحك ، قال : لا حاجة لي في نصحك ، ولكن اخبرني عن بني آدم ؟ قال : هم عندنا ثلاثة أصناف :

– اما صنف منهم وهم اشد الاصناف علينا : نُقبل على احدهم حتّى نفتنه ونتمكن منه ، فيفزع إلى الاستغفار والتوبة ، فيُفسد علينا كل شيء ، ثم نعود فيعود ، فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا ..

– واما الصنف الآخر : فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم ، نقلبهم كيف شئنا ، وقد كفونا انفسهم ..

– واما الصنف الثالث : فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء ..

من هنا يتبين لنا ان دعاة الاسلام اشد تعرضاً لمكائد الشيطان والقاءات الشر منهم من غيرهم ..

فقد تكون وسوسة ابليس في نفس الداعية من جانب الكبر والغرور ، غرور العلم والتدين والصلاح فيرى انه احسن حالاً ومقالاً من سائر خلق الله .. فاذا وجد ذلك فليستعذ بالله من نفخة الكبرياء .

وقد تكون وسوسة ابليس في نفس الداعية من جانب الدنيا وزينتها .. فيرى انه محروم منها ، مقصر بحق نفسه وعياله ، وانه اقل دخلاً من سواه .. فما المانع من ان يأخذ بحظ نفسه ، ويسعى وراء تحسين حاله ومضاعفة دخله .. وقد يستمر الحال على هذا المنوال حتّى تكون النتيجة ، استحواذ حب الدنيا على قلبه وانشغاله بها عن ربه . فيترك الثغرة التي هو عليها ، والجهاد الذي

هو فيه ، ويرتحل من مكان إلى آخر ومن بلد إلى بلد سعياً وراء كسب اوفر ودخل اكبر !

وقد تكون وسوسة ابليس للداعية من جانب الخوف والجبن.. فيقذف في نفسه الوهن (قيل وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت) فيرى انه في غنى عن ان يتشرد او يُسجن او يُقتل ، لأن في ذلك تشريد عياله .. وماذا عليه لو يخفف ؟ وهكذا تتفاعل هذه الالقاءات في النفس حتّى تقذف به بعيداً بعيداً عن مسيرة الجهاد ودعوة الحق ! .

وإلى هذا المعنى اشار الرسول ﷺ بقوله (ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق .. فقعد له بطريق الاسلام ، فقال : اتسلم وتترك دينك ودين آبائك ؟ فعصاه وأسلم .. ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : اتهاجر ، اتدع ارضك وسماءك ؟ فعصاه وهاجر .. ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : اتجاهد وهو تلف النفس والمال ، فتقاتل فتُقتل ، فتُنكح نساؤك ويُقسم مالك ؟ فعصاه وجاهد . فقال رسول الله ﷺ : (فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله ان يدخله الجنة) اخرجه النسائي .

خامساً ــ ونفس تنازعه :

والشدة الخامسة التي تواجه دعاة الاسلام هي شدة النفس ومنازعتها ، وكيد النفس وضلالها ، ومكر النفس وخبثها .. وصدق الله تعالى حيث يقول (وما ابريء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء ، الا من رحم ربي ان ربي غفور رحيم) يوسف ٥١ .

فنفس الانسان هي موطن التفاعل مع ما يردها من خير وشر ، وحلال وحرام ، وحق وباطل .. وهي الاناء الذي يتسع لكل شيء .. يتسع للهدى كما يتسع للضلال ، ويتسع للطهر كما يتسع للعهر ، وهذا معنى قوله تعالى (ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها) .

والداعية في زحمة الهموم والمشاغل اليومية .. السياسية والمعيشية والعائلية والحركية ، قد ينسى نفسه !.

انه قد يهتم بكل شيء حوله .. ويقدم الخير لكل من هم

حوله .. ولكنه مع ذلك قد ينسى نفسه . ينسى حق نفسه مـــن الهُدى والخير . من العناية والرعاية .. وهنا يحدث ما ليس بالحسبان ويقع ما فيه الخسران .. خواء النفس وقسوتها ثم فتورها وانحرافها . وصدق الله تعالى حيث يقول (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون) ويقول (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارةِ او اشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافل عما تعملون) .

فالنفس أمّارة بالسوء .. وان لم تُلجم بلجام التقوى والدين . وتتابع بالترهيب والترغيب ، تقتل صاحبها وترديه .. (وأما من خاف مقام ربه . ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هـــي المأوى) وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) .

ان على الاخ الداعية أن يعي امراً هاماً قد يغفل عنه الكثيرون ذلك الامر هو انه كداعية مهمته الاساسية ان يربح نفسه اولاً .. ويحسن إلى نفسه أولاً .. والا فما قيمة ان يربح الدنيا ويخسر نفسه ؟

ان الرابح الحقيقي – يوم القيامة – هو الذي ربح نفسه ولو خسر الدنيا والناس جميعاً . وان الخاسر الحقيقي هو الذي خسر نفسه ولو ربح الناس والدنيا جميعاً .. (قل ان الخاسرين الذين

خسروا انفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم) .

ان من مقدمات خسارة النفس واشاراتها : هي اهمال النفس وعدم ترويضها على الالتزام بالشرع ، وتحقيق ترجمة المبادىء إلى اعمال والاقوال إلى أفعال .. ولقد ندد القرآن بذلك فقال تعالى (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (يا ايها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) .

فالداعية مطالب بمحاسبة نفسه قبل محاسبة غيره .. وبتربية ذاته قبل قيامه بتربية ذوات الآخرين .. وبالإحسان إلى نفسه قبل مبادرته بالاحسان للآخرين .. وهذا مناط وصية علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه حيث يقول (من نصّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره .. وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه . ومعلم نفسه ومهذبها احق بالاجلال من معلم الناس ومهذبهم) .

ولقد حدث رسول الله ﷺ عن مصير الذين يقولون ما لا يفعلون ، والذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، والذين ينصبون انفسهم هداة وهم ابعد الناس عن الهداية ، والذين يطالبون الآخرين بالاستقامة وهم منحرفون فقال (يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيُلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه ، فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع اليه اهل النار ، فيقولون :

فلان ؟ اما كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : نعم ، كنت آمر بالمعروف فلا آتيه ، وانهى عن المنكر وآتيه).

وإلى هذا يشير الرسول ﷺ بقوله (تعلموا ما شئتم ان تعلموا ، فلن يأجركم الله حتى تعملوا) .

قيمة القلب من الجسد

ان على الداعية ان يدرك ان عنايته بقلبه يجب ان تفوق كل عناية .. وانه ان كان يعتني بجسده وعقله ويقدم لهما الاغذية اللازمة والأمصال اللازمة للقيام بدورهما على الوجه الأكمل ، فان عليه بالتالي ان يعتني بقلبه .. فهو بقلبه اولاً يكون داعية .. وهو بقلبه اولاً يكون مؤمناً .. وهو بقلبه اولاً يكون ربانياً ..

والداعية ان لم يكن عابداً ربانياً فلا خير فيه ، كائناً ما كانت ثقافته وعلمه ، لأنها ثقافة لم تؤسس على تقوى من الله ورضوان ..

وفي نطاق بيان ما للقلب من قيمة يحدث رسول الله ﷺ فيقول (الانسان عيناه هاد ، واذناه قمع ، ولسانه ترجمان ، ويداه جناحان ، ورجلاه بريد ، والقلب منه ملك ، فاذا طاب الملك طابت جنوده) .

علامات حياة القلوب

ان على الداعية ان يهتم بقلبه .. يراقبه .. يستطلع أحواله ،

ليعرف مدى قسوته أو لينه ، مدى حياته أو موته . مدى جفافه أو رطوبته ..

* فمن الدلائل التي تشير إلى حياة القلب . انفعال صاحبه بذكر الله وقراءة القرآن وشتى انواع العبادات مصداقاً **لقوله** تعالى (والذين اذا ذُكر الله وجلت قلوبهم، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً ، وعلى ربهم يتوكلون) (.. وبشر المخبتين * الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) .

* ومن الدلائل التي تشير إلى حياة القلب صلابة صاحبه في الدين ، وصدعه بالحق ، وعدم خوفه إلا من الله عز وجل . وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول : (ان لله تعالى في ارضه آنية .. وهي القلوب .. فأحبها اليه تعالى : أرقها ، وأصفاها ، وأصلبها . ثم فسرها فقال : اصلبها في الدين ، وأصفاها في اليقين . وأرقها على الاخوان) .

* ومن الدلائل التي تشير إلى حياة القلوب خوف اصحابها من الله ومما يسخطه ، وبعد أصحابها عن حرماته ، واجتنابهم معاصيه ، مصداقاً لقوله تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) .

* ومن الدلائل التي تشير إلى عافية القلوب كذلك ، خلوها من الحسد والبغض والغش .. ففي الخبر انه قيل (يا رسول الله ، من خير الناس ؟ فقال : كل مؤمن مخموم القلب . قيل : وما

مخموم القلب ؟ فقال : هو التقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد) .

* ومن الدلائل التي تشير إلى عافية القلوب ، اطمئنان اصحابها في كل الظروف ، وسعة نفوسهم ، وانشراح صدورهم فقد قال ﷺ في تفسير قوله تعالى « فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » هو التوسعة . ان النور اذا قذف في القلب اتسع الصدر وانشرح) وكذا معنى قوله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

الداعية واهتمامه بقلبه

كل ذلك يفرض على الاخ الداعية ان يكون شديد العناية بقلبه .. يقدم له من الزاد ما يجعله قلباً ربانياً .. قلباً مشرقاً .. قلباً وجلاً .. قلباً مطمئناً ..

ولقد علمنا قدوتنا واسوتنا محمد ﷺ كيف نعتني بقلوبنا لتكون في مستوى الدعوة نضارة وطهراً .. وسنعرض هنا بعضاً من هذه التعاليم النبوية وما اكثرها في سنته وسيرته لمن اراد ان يسلك سبيل المسترشدين ويبلغ درجة الربانيين ..

١ – ذكر الله : ان بامكان الداعية ان يكون حريصاً على ذكر الله في كل احواله واعماله .. والرسول ﷺ علمنا اذكاراً يمكن ان تغطى بها اعمال الانسان اليومية كلها ..

هذه الادعية المأثورة ، لو حفظها الاخ الداعية ومارسها

بحسب ترتيبها من الافعال لأصبح من أولي الالباب (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض) .

فبذكر الله حياة القلوب وصفاؤها .. به يزول الران ويحصل اللين .. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (ان لكل شيء صقالة .. وصقالة القلوب ذكر الله . وما من شيء انجى من عذاب الله من ذكر الله . قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولو ان يضرب بسيفه حتى ينقطع) رواه البيهقي .

وعن الحارث الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال (ان الله اوحى إلى يحيي بن زكريا بخمس كلمات ، ان يعمل بهن ، وان يأمر بني اسرائيل ان يعملوا بهن . منها قوله : وآمركم بذكر الله كثيراً . ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره ، حتى اتى حصناً حصيناً فتحصن فيه ، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان الا بذكر الله) رواه الترمذي .

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال .. (قال موسى عليه السلام : يا رب علمني شيئاً اذكرك به ، وادعوك به .. قال : قل لا إله إلا الله .. قال : يا رب كل عبادك يقول هذا ؟ قال : قل لا إله إلا الله .. قال : انما اريد شيئاً تخصني به ؟ قال : يا موسى ، لو ان السموات السبع والاراضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله) رواه النسائي وابن ماجه والحاكم وقالوا صحيح الاسناد

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (جددوا ايمانكم . قيل ، يا رسول الله وكيف نجدد ايماننا ؟ قال اكثروا من قول لا إله إلا الله) رواه احمد وغيره .

وروى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها من دون الله حجاب حتى تخلص اليه)

وقال ﷺ (احب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . ولا يضرك بأيهن بدأت) رواه مسلم وابن ماجه والنسائي

٢ ــ **مراقبة الله** : وعلى الاخ الداعية ان يديم مراقبة الله عز وجل في شتى احواله واعماله وفي كل اقواله وأفعاله ، بل وفي هواجسه ومشاعره ..

ومراقبة الله تعالى تحفظ الداعية من الذلل وتقيه العثرات والانحرافات ، وتجعله حاضر القلب يستهدي بالله لا بهواه ..

وعلى الاخ الداعية ان يعلم ان الامور ثلاثة :

الاول : امر استبان رشده فليتبعه ...

الثاني : امر استبان غيه فليجتنبه ...

الثالث : امر أشكل عليه فليسأل عنه ...

ومراقبة الله تعالى انما تتأكد في نفس الاخ الداعية وتتعمق

مع تزايد الشعور بقرب الله منه (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) (ما يكون من نجوى ثلاثة الا وهو رابعهم ، ولا خمسة الا وهو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبؤهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) (ام يحسبون ان لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون) .

قال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة .. فعرسنا في بعض الطريق ، فانحدر اليه راع من الجبل ، فقال له : يا راعي ، بعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك ، قال : قل لسيدك اكلها الذئب . قال : فأين الله .. فبكى عمر ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاة فأعتقه ، وقال : اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان تعتقك في الآخرة ..

وسأل رجل رسول الله ﷺ ان يعظه فقال : « اذا اردت امراً فتدبر عاقبته .. فان كان رشداً فأمضه ، وان كان غياً فانته عنه » .

وحكي – في المراقبة – انه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب ، وكان يكرمه .. فقال له بعض اصحابه : كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ ؟ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيراً وسكيناً وقال : ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه احد . ودفع إلى الشاب مثل ذلك .. فرجع كل واحد بطيره مذبوحاً ، ورجع الشاب والطير حي في يده .. فقال :

مالك لم تذبح وقد ذبح اصحابك ؟ فقال : لم اجد موضعاً لا يراني فيه احد ، اذ الله مطلع علي في كل مكان .. فاستحسنوا مراقبته وقالوا : حق لك ان تكرمه .. (نزهة الناظرين) .

وقيل : كان طاوس اليماني رحمه الله بمكة ، فراودتـــه امرأة عن نفسه ، فلم يزل بها حتى أتى بها إلى المسجد الحرام والناس مجتمعون .. فقال لها : أقضي ما تريدين . قالت : في هذا الموضع والناس ينظرون ؟ قال : فالحياء من نظر الله أحق . فتابت المرأة وحسنت توبتها . (نزهة الناظرين) .

وروي أن رجلاً جاء إلى ابراهيم بن ادهم ، فقال له : يا أبا اسحاق .. اني مسرف على نفسي ، فأعرض علي ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي : قال : ان قبلت خمس خصـــال وقدرت عليها لم تضرك ، ولم توبقك لذة .. قال : هات يا أبا اسحاق ..

قال : أما **الاولى** – فاذا اردت ان تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه . قال : فمن أين آكل وكل ما في الارض من رزقه؟ قال : يا هذا .. أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ قال : لا ، هات **الثانية** .. قال : واذا اردت ان تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده . قال الرجل : هذه اعظم من الاولى .. فاذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين اسكن ؟ قال : يا هذا .. افيحسن ان تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟ قال : لا ، هات **الثالثة**.. قال : اذا اردت ان تعصيه وانت تأكل رزقه وفي بلاده ، فانظر

موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه .. قال : يا ابراهيم .. كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر ؟ قال : يا هذا ... أفيحسن ان تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به ؟ قال : لا ، هات الرابعة .. قال : اذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له : اخرني حتى اتوب توبة نصوحاً واعمل لله عملاً صالحاً .. قال : لا يقبل مني .. قال : يا هذا .. افأنت اذا لم تقدر ان تدفع عنك الموت لتتوب ، وتعلم انه اذا جاءك لم يكن تأخير ، فكيف ترجو وجه الاخلاص؟ قال : هات الخامسة .. قال : اذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم .. قال : لا يدعونني ولا يقبلون مني .. قال : فكيف ترجو النجاة اذاً ؟ قال الرجل : يا ابراهيم ، حسبي حسبي .. انا استغفر الله واتوب اليه ، ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما .. (كتاب التوابين) .

٣ ـ **مجاهدة النفس** : قال يحيى بن معاذ الرازي : جاهد نفسك بأسياف الرياضة .. والرياضة على اربعة اوجه :

(١) القوت من الطعام ..

(٢) والغمض من المنام ..

(٣) والحاجة من الكلام ..

(٤) وحمل الأذى من جميع الأنام ..

فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ..

ومن قلة النوم صفو الارادات ..

ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ..

ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات ..

فالاخ الداعية ، يجب ان يكون في جهاد دائم مع نفسه .. يردعها عن فضول المأكل والمشرب والملبس والكلام والشهوة .. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل) اخرجه الترمذي .

ولقد سئل ابراهيم بن ادهم بم يتم الورع ؟ فقال (بتسوية جميع الخلق من نفسه ، وانشغالك عن عيوبهم بذنبك . فكر في ذنبك .. وتب إلى ربك .. وانسخ الطمع إلا من ربك) .

ففي مجاهدة البطن بالجوع قال الرسول ﷺ (لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء) وقال (ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة .. وان ابغض الناس إلى الله المتخمون الملأى . وما ترك عبد أكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة) رواه الطبراني .

فمن آفات التخمة وامراضها النفسية فضلاً عن الجسدية : غلظة القلب وقسوته ، وتبلد الذهن وكثرة النعاس والنوم ، وتهيج الشهوات ، والبطر ، والكسل عن العبادات ..

ولهذا وضع رسول الله ﷺ قاعدته الشهيرة « ثلث للطعام ..

وثلث للشراب .. وثلث للنفس).

وفي مجاهدة الشهوة ليتحقق الاعتدال ، أمر الله عباده بغض الابصار (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) وحفظ الفرج (ويحفظوا فروجهم) .

وحذر رسول الله ﷺ من فتنة النساء فقال (ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء) متفق عليه — وقال (النساء حبائل الشيطان ، ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء من سلطنة على الرجال) اخرجه الاصفهاني .

يقول الغزالي في الاحياء (واعظم الشهوات شهوة النساء .. وهذه الشهوة ايضاً لها افراط وتفريط واعتدال .. **فالافراط** : ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى الاستمتاع بالنساء ، فيحرم عن سلوك طريق الآخرة ، او يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش . **والتفريط** : بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضاً مذموم . وانما **المحمود** : ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها . ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال ﷺ (يا معشر الشباب عليكم بالباءة ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم ، فالصوم له وجاء) .

وفي مجاهدة اللسان يقول الرسول ﷺ (امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) اخرجه الترمذي .

والاخ الداعية انما ينعقد نجاحه في دعوته .. ويتحقق اثره

الحسن في الناس بمقدار تمكنه من لسانه (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

واستقامة اللسان وتجافيه عن موطن الغيبة والنميمة والكذب والفحش مظهر من مظاهر العافية والايمان ، وعامل من عوامل صيانة القلب من الدنس والغش والانحراف .. فقد قال ﷺ (لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه .. ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) اخرجه الطبراني .

وهكذا يترتب على الاخ الداعية ان يجاهد نفسه وجوارحه بشتى انواع الطاعات والعبادات لتزكو وتصفو ، وما اكثر ابوابها وطرقها ووسائلها لمن اراد الترقي والعروج .. وقد قيل (ان لله معارج على قدر أنفاس الخلائق) .

والخلاصة .. ان على الاخ الداعية ان يتمكن من الانتصار على نفسه واصلاحها وربحها لأنه بذلك يكون منتصراً .. وتحقيق ذلك ليس سهلاً او هيناً .. وهو إن تم في فترة فلا يؤمن مكرها وغدرها ؟ ومتابعة النفس وملاحقتها والحذر من القاءاتها ووساوسها هو السبيل الأضمن الذي يحقق مناعتها وعافيتها .. وبهذا يتحقق في الداعية معنى قوله ﷺ (اذا اراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه) مسند الفردوس وقوله (من كان له من قلبه واعظ ، كان عليه من الله حافظ) .

فلنحاسب أنفسنا قبل ان نحاسب .. ولنزنها قبل ان توزن ..

ولنتهيأ للعرض الأكبر .. فاليوم عمل ولا حساب ، ويوم القيامة حساب ولا عمل . فنسأل الله تعالى السلام والأمان من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، وبالله المستعان ..

الموضوع الثاني

هَذِهِ صِفَاتنا الإيمانيَّة، فلنحَافِظ عليهَا

- التائبون
- العابدون
- الحامدون
- السائحون
- الراكعون
- الساجدون
- الآمرون بالمعروف
- الناهون عن المنكر
- الحافظون لحدود الله

هذه صفاتنا الايمانية .. فلنحافظ عليها

على طريق مسيرتنا الاسلامية ، وفي معامع العمل الاسلامي ، يحسن بدعاة الاسلام ان يتفحصوا بين الحين والآخر مواقعهم هم من الاسلام الذي يدعون الناس اليه ، مواقعهم هم من الالتزام الاسلامي ، حتى لا يكونوا معنيين بقوله تعالى (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون) وحتى لا يحبط عملهم ويكونوا من (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) .

فالخاسرون الحقيقيون في ميزان الحق يوم القيامة هم الذين خسروا انفسهم ولو ربحوا الدنيا جميعاً .. والرابحون الحقيقيون في ميزان الحق يوم القيامة هم الذين ربحوا انفسهم ولو خسروا الدنيا جميعاً .. والمحسنون الحقيقيون في منطق الحق هم الذين احسنوا لأنفسهم اولاً ، واعتقوا رقابهم من النار اولاً .. .

أو لم نسمع إلى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون

ما لا تفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) وإلى الحديث النبوي الرهيب (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : : يا فلان ، الم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه) .

ان مستوى التزام الدعاة – بالاسلام – يجب ان يتجاوز بكثير مستوى غيرهم من الناس .. فان استووا معهم بالالتزام لم يكن لهم الفضل عليهم بالدعوة ، بل كان عليهم دونهم وزر الادعاء ..

ثم ان على دعاة الاسلام ان يدركوا ان الله تعالى عقد معهم (البيعة) في قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

وان وفاء الدعاة بهذه البيعة مرهون بمدى التزامهم وتحليهم بالصفات الايمانية التي اشارت اليها الآية التي تلي آية البيعة مباشرة (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين) .

فما هي هذه الصفات الايمانية ؟

التائبــــون

ان الصفة الأولى التي يجب ان تتحقق في الدعاة هي صفة التوبة .. فالعاملون للاسلام يجب ان يكونوا اشد احتراساً من المعاصي – كل المعاصي – منهم من عدوهم ، لإن ذنوبهم اخوف عليهم من عدوهم .. فان وقع ما يعتبر معصية – ولا بد وان يقع – كان عليهم ان يبادروا بالتوبة والانابة إلى الله ، ملبين نداء الله عز وجل (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ورحمة) .

فالتوبة والانابة إلى الله صفة اصيلة لازمة من صفات المؤمنين (الذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) .

ثم ليعلموا ان نبيهم وقدوتهم محمداً ﷺ . المؤيد بالوحي ، الذي لا ينطق عن الهوى ، المعصوم عن الخطأ ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، كان لا يفتأ يستغفر ربه ويقول (يا ايها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة) رواه مسلم . وفي رواية للبخاري يقول الرسول ﷺ (والله اني لأستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة) .

واحتراس الدعاة من المعاصي يجب ان يشمل حتى الذنوب الصغيرة ، لأن تعود النفس على التساهل مع الصغائر من شأنه ان يستدرجها للوقوع في الكبائر.. وصدق رسول الله ﷺ حيث

يقول (اياكم ومحقرات الذنوب فانهن لا يجتمعن على الرجـــل حتى يهلكنه .. وصدق الشاعر حيث يقول :

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل ادمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

ان هذا يفرض ان تكون للدعاة مع انفسهم جلسات دائمة ، يناقشونها فيها الحساب ، يقيمونها ، ينقدونها ، يستخلصون منها ما تداخل فيها ، ويمسحون عنها ما ران عليها ، ملبين نداء الله في ذلك (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها قـــد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) ومنفذين لوصية عمر بن الخطاب حيث يقول : (حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوها قبل ان توزنوا ، وتهيئوا للعرض الاكبر) .

ويقول العلماء في التوبة : التوبة واجبة من كل ذنب . فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى فلها ثلاثة شروط : ١ ـ الاقلاع ٢ ـ الندم ٣ ـ عدم العودة . وان كانت تتعلق بآدمي فشروطها اربعة ، الثلاثة الأولى وأن يبرأ من حق صاحبها .

والصفة الاخرى التي يجب ان تكون طابع حياة الدعاة هي صفة التعبد .. فالعابدون هم الذين يتعبدون الله تعالى في كــل تحركاتهم وتصرفاتهم واقوالهم وافعالهم . كيما تتحقق الغايــة الاصيلة من الحياة (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .

فحين يكون الله غايتنا ، ومعبودنا ، ووجهتنا ، ومقصدنا . وحين نمتثل امره في كل شؤوننا ، فذلكم هو تعبيد الحياة لله رب العالمين (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت) .

فلا اجتهاد مع النص .. ولا هوى مع الشرع .. ولا أرى مع حكم من احكام الله (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون) النور : ٥١ .

وهذا يعني قطعاً ان تزان الامور بميزان الإسلام . ويحكم عليها بحكم الشرع ..

وهذا يعني أن تكون التصرفات الخاصة والعامة وفق مــا شرع الله تعالى لعباده ..

وبهذا المفهوم الكلي يمكن ان نتعبد الله في كل شأن مــن شؤون حياتنا . وبهذا المفهوم يصبح النوم عبادة والاكل عبادة والعمل عبادة والزواج عبادة والتعلم عبادة والتعليم عبادة مــا دامت هذه الاعمال تمارس وفق منهج الله الذي ارتضى لعباده .

الحـــامدون

والحامدون هم الذين تختلج قلوبهم احساساً وشعوراً بنعم الله عليهم ، وتلهج ألسنتهم شكراً وثناء وتندفع اعضاؤهـــم بذلاً وعطاء ..

ومن اولى من دعاة الاسلام بالحمد ؟! من اولى منهم بالشكر وهم الذين نَعموا بالهداية ، وأصابتهم نعمة الايمان (ولكـــن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا) (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين) .

ان نعم الله على عباده لا يحصى عدها .. فكل ما في الكون والانسان والحياة ينطق بأنعمه (الم تر كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً ، وجعل الشمس سراجاً) (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلك الله فانّى تؤفكون . فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خَضِراً نخرج منه حباً متراكباً من النخل ومن طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) الانعام ٩٤ — ٩٩ .

ان كل هذه النعم وغيرها مما تزدحم به الأكوان وتتوالد به الحياة ويعيش به الانسان من دلائل فضل الله وكرمه علـــى عباده ، وانما يكون رد الفضل وشكر النعمة بتوظيف كل ذلك فيما يرضي المنعم عز وجل امتثالاً لأمره تعالى (فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (ان الله ليرضى عن العبد يأكل الاكلة فيحمده عليهـــا ويشرب الشربة فيحمده عليها) .

والدعاة إلى الله يجب ان يكون حمدهـــم لله في السراء والضراء ، في الشدة والرخاء ، حتى يكونوا معنين بقوله ﷺ (عجباً لأمر المؤمن ان امره كله له خير . ان اصابته سراء شكر فكان خيراً ، وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن) .

أما اجر الحامدين فهو عند الله العظيم .. وحسبنا ان نسمع إلى قوله ﷺ :

(اذا مات ولد العبد ، قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول : فبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون نعم . فيقول : فماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد).

وان من اكرام الله لعباده انه امتن عليهم بالنعمة وضاعف لمن حمده عليها وشكر . فالنعمة ابتداء منه والأجر انتهاء منه

(فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والارض وعشياً وحين تظهرون) .

السائحـــون

والسياحة هنا سياحة النظر والفكر والنفس في خلق السموات والارض .. سياحة المؤمنين في انفسهم ، وفيما حولهم مـــن مخلوقات واكوان وعوالم (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)

فما احوج الدعاة إلى سياحات في عالم الاكوان والفضاء والمجرات تبصرهم بعظمة الله وقدرته وتحفزهم على طاعته وعبادته ..

وما احوج الدعاة إلى سياحات تاريخية في سير الصالحين وتراجم العظماء من سلفنا الصالح يخبرون بلاءهم وصبرهـــم وتضحياتهم ليكون لهم بهم اقتداء ..

وما احوج الدعاة إلى سياحات عبر صراعات الحق مـــع الباطل ، ليروا كيف كانت تتحطم على صخرة الإسلام عروش الطغاة ومكائد الحاقدين . وليعلموا ان دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة . وصدق الله تعالى حيث يقول (سيروا

في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) .

والداعية الذي يبصر دقائق خلق الله في جسمه وفي الحياة من حوله ، في الماء والهواء والنبات والحيوان ، ويرى عظمة خلقه في اختلاف ألسنة الناس والوانهم وامزجتهم واشكالهم يغدو اشد ايماناً بالله واشد خشية له وتعظيماً لقدره وقدرته ، وهذا معنى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) .

ولذلك حض القرآن الكريم على السياحة والتفكر والتدبر في كثير من آياته ، منها قوله تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) (افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون) (افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثاراً فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) (افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها . ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين . ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون) .

وهم الحريصون على تمكين صلتهم بالله وتحسين علاقتهم به ..

فهم المحافظون على الصلاة .. قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .. الدائمون عليها (الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار)

والدعاة إلى الله .. وبخاصة في هذا الزمن .. بمسيس الحاجة إلى ان تكون صلتهم بالله وعلاقتهم به في وزن المسؤولية التي يحملون .. وعلى مستوى التحديات التي يواجهون ..

واسلافنا الصالحون انما كان انتصارهم وانتشار دعوتهم بقوة الاعتصام بالله ، وشديد التمسك بحبله ، وبعظيم إقبالهم على النوافل في العبادات فضلاً عن الفرائض . ولهذا وصفهم الباري عز وجل بأنهم (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون) وبأنهم (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) .

وهذا ما حمل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استبطأ فتح مصر ، ان يكتب إلى عمرو بن العاص يسأله مستفسراً فيقول (أما بعد : فقد عجبت لابطائك عن فتح مصر تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم ، وان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم) منتخب كنز العمال ١٨٣/٢ .

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة اساسية من مهمات المؤمنين .. واذا كان المسلم لا يكون مسلماً حقاً ما لم ينهض بهذا الواجب .. ينهض به في نطاق نفسه واسرته ومجتمعه ، فكيف بالدعاة الذين نصبوا انفسهم وعاظاً ومرشدين وأئمة وقادة ؟

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف رباني قبل ان يكون تكليفاً حركياً . ولقد جاء التكليف الرباني في قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) وفي قوله تعالى (كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) .

ثم جاء الأمر النبوي مؤكداً التكليف الرباني بالنهوض بواجب الدعوة إلى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر في قول الرسول ﷺ (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان ، وليس وراء ذلك حبة خردل من ايمان) .

ولقد اكد الرسول ﷺ وتشدد على ضرورة القيام بهذا الواجب الذي يعتبر صمام امان المجتمعات فقال : (والذي

نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) وقال (لا تزال لا إله الا الله تنفع من قالها وتصرف عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بها ، قيل وما الاستخفاف بها يا رسول الله ؟ قال : يظهر العمل بمعصية الله فلا ينكر ولا يغير) .

ولقد اشار رسول الله ﷺ في حديث له إلى أن من أهم اسباب هلاك الامم واقوى معاول الهدم فيها تعطل واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فقال ﷺ (ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل ، انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك . ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده . فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) ثم قال : (كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطراً او ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم) رواه ابو داود .

ثم بين رسول الله ﷺ من خلال مثال حي كيف تقع الكارثة حين يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع فقال (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا

على سفينة .. فصار بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها . وكان الذين في إسفلها اذا استقوا من الماء مروا من على فوقهم فقالوا : لو اننا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا . فان تركوهم وما ارادوا هلكوا وهلكوا جميعاً ، واذا اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعاً) رواه البخاري .

وان على الدعاة ان يدركوا ان من اهم شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يكونوا قدوة لما يدعون الناس اليه .. لما يأمرونهم به .. ولما ينهونهم عنه . فان خالف الفعل القولِ بطل العمل وذهب الاجر والعياذ بالله تعالى .. ولهذا ندد القرآن الكريم بالذين يقولون ما لا يفعلون فقال (كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) .

ولقد اخبر النبي ﷺ عن مصير اولئك الذين يخالف فعلهم قولهم فقال (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه ، فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحى . فيجتمع اليه اهل النار فيقولون : يا فلان : مالك ؟ الم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه) .

وفي وصية لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه يوصي الدعاة إلى الله بأن يبدأوا بأنفسهم هم تعليماً وتهذيباً قبل ان يقوموا بتعليم الناس وتهذيبهم فقال (من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تهذيبه بسيرته

قبل تهذيبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالاجلال مـــن معلم الناس ومهذبهم) .

والحافظون لحدود الله

أي القائمون على تنفيذ اوامر الله في انفسهم ومجتمعهم ..

واذا كانت اوامر الله تعالى لا يمكن تنفيذها على اكمل وجه بغير سلطان ، أي بغير حكم اسلامي ودولة اسلامية ، وجب العمل من اجل ذلك لحفظ حدود الله .

ان حياة الدعاة يجب ان تسير في خطين متوازيين بالنسبة لحفظ حدود الله ..

الخط الاول : ان يحفظوا حدود الله في انفسهم وبيئتهم ما أمكنهم .. وهذا مناط التكليف الشخصي الفردي للمؤمنين والمؤمنات وبه جاءت الآيات الكريمة (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون) (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخِيـَرَة من امرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) وهذا ما حدد اطره الرسول ﷺ بقوله (الحلال بيـِّن والحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات ، لا يعرفهن كثير من الناس . فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام . كالراعي

يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه . ألا وإن لكل ملك حمى الا وإن حمى الله محارمه . الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب) .

الخط الثاني : ان يبادروا بالعمل لما يحقق حفظ حدود الله بالكلية ، أي باقامة الدولة المسلمة التي تحفظ حدود الله باحتكامها إلى شرعه ، وهذا مناط العمل الجماعي الذي لا يسقط وجوبه الرباني عن كاهل المسلمين حتى يتحقق ويحقق اغراضه او يقضي اصحابه شهداء .. (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)

الموضوع الثالث

زادُ الدّعـاة

١ – صم يوماً شديد الحر ليوم النشور
٢ – وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور
٣ – وحج حجة لعظائم الامور
٤ – وقل كلمة حق وأمسك عن كلمة باطل
٥ – وتصدق بصدقة وأخفها

زاد الدعـــاة

ان الدعاة إلى الله في دربهم الطويل ، وفي طريقهم الوعر ، وفي مواجهة التحديات والمحن ، بحاجة إلى شيء اساسي لا غنى لهم عنه ، ولا ثبات لهم بدونه ، بحاجة إلى مدد من الله وعون منه ..

وعندما اصطفى الله نبيه محمداً لحمل الرسالة ، تعهده في غار حراء ، وصنعه على عينه ، وادبه فأحسن تأديبه ، وزوده بما يمكنه من حمل الامانة وتبليغ الرسالة وابتعاث خير امــة اخرجت للناس (وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات والارض ، ألا إلى الله تصير الامور) .

واذا كان هذا حال سيدنا رسول الله ، فكيف يجب ان يكون حال الدعاة من بعده ؟ انهم اشد حاجة إلى ان يتزودوا

لسيرهم الطويل ، ويأخذوا بالاسباب التي تعينهم على المضي على الجادة من غير انحراف او التواء ..

لقد بين رسول الله ﷺ ابعاد الطريق ومخاطره وبخاصة في آخر الزمان فقال (يا معشر المسلمين .. شمروا فان الأمر جد .. وتأهبوا فان الرحيل قريب .. وتزودوا فان السفر بعيد .. وخففوا اثقالكم ، فان وراءكم عقبة كؤوداً لا يقطعها الا المخففون .. ايها الناس .. ان بين يدي الساعة اموراً شداداً وأهوالاً عظاماً وزماناً صعباً يتملك فيه الظلمة ، ويتصدر فيه الفسقة .. فيضطهد فيه الآمرون بالمعروف ويضام الناهون من المنكر . فأعدوا لذلك الايمان .. عضوا عليه بالنواجذ ، والجأوا إلى العمل الصالح ، وأكرهوا عليه النفوس ، واصبروا على الضراء تفضوا إلى النعيم الدائم) .

ثم ان رسول الله ﷺ اشار إلى الزاد الذي يجب ان يستعين به دعاة الاسلام على سفرهم هذا ، فقال لأبي ذر سائلاً (لو اردت سفراً اعددت له عدة ؟ قال : نعم قال : فكيف بسفر طريق القيامة ؟ الا انبئك بما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال : بلى بأبي انت وامي يا رسول الله . قال :

– صم يوماً شديد الحر ليوم النشور ..

– وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ..

– وحج حجة لعظائم الامور ..

– وتصدق بصدقة على مسكين ..

– أو كلمة حق تقولها ..

– أو كلمة شر تسكت عنها ..

فلنتناول كل واحدة من هذه الوصايا بشيء من التفصيل ..

صم يوماً شديد الحر ليوم النشور

انها دعوة من رسول الله ﷺ لمن سلك سبيل الله من المؤمنين والدعاة إلى ترويض النفس ، وتعويدها على شظف العيش وخشونة الحياة ، وحرمانها احياناً مما تحب وتهوى حتى يسلس قيادها ويسهل مقادها (**تخوشنوا فان النعم لا تدوم**) .

انه اسلوب عملي في التربية الربانية .. اسلوب له أثره العميق في تهذيب النفس وتشذيبها ، وفي تعبيدها لله رب العالمين.

انه لا يكفي ان نؤمن بالله ايماناً نظرياً ، او نتكلم عن التربية الربانية كلاماً لا يتجاوز الالسن او الآذان .. بل لا بد من ممارسات عملية تستخلص النفس من ادرانها وشوائبها ، وترتقي بها في مدارج الكمال ..

والصوم احد ابرز الرياضات النفسية .. فهو يقوّي الارادة ، ويجعل للايمان والتقوى قوامةً على الجسد وحاجاته العضوية .. بل يجعل الجسد مطية الروح ..

فبالصوم يرهف الحس ، ويتعاظم الشعور ، ويصفو الفكر وتشف النفس ..

ولهذا كان ثواب من صام لله ايماناً واحتساباً في ايام شديدة الحر ، ان يعافيه الله من حر يوم القيامة .. فالجزاء من جنس العمل ، ان كان خيراً فخير ، وان كان شراً فشر (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

انه قياس مع الفارق الكبير والكبير جداً ان يقاس بين حر الدنيا وحر الآخرة ، وبين مشقة الصوم في يوم حار ومشقة يوم النشور ولكنه كرم الله وفضله **(يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميماً . يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه، وصاحبته واخيه، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه . كلا انها لظى ، نزّاعة للشوى ، تدعو من ادبر وتولى وجمع فأوعى) .**

فعن عائشة رضي الله عنها قالت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول (يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا .. قلت : يا رسول الله : النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ : يا عائشة ، الامر اشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض) رواه البخاري . وصدق الله تعالى حيث يقول (لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه) .

ويقول الرسول ﷺ (ان العرق يوم القيامة ليذهب في

الارض سبعين باعاً ، وانه ليبلغ إلى افواه الناس او إلى آذانهم) رواه مسلم .

ويقول (فيكون الناس على اقدار اعمالهم من العرق : فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق الجاماً) رواه مسلم .

هذا الكرب العظيم يدفعه عن المؤمن صدق ايمانه ، وصدق التزامه بدينه ، وحسن ظنه بالله ، وتقربه اليه بالصوم والصلاة وسائر العبادات والطاعات .. وهذا ما جعل رسول الله ﷺ يوصي عائشة فيقول **(اديمي يا عائشة قرع باب الجنة بالجوع)** .

ولهذا ضاعف الله اجر الصائمين ، واجزل لهم الثواب . فقد جاء في الحديث القدسي **(كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصوم فانه لي وانا اجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي)** .

ولقد اشار رسول الله ﷺ إلى مقام الصائمين الذين استعلوا على اهوائهم وغرائزهم ولجموها بلجام التقوى فقال **(ان في الجنة باباً يقال له الريّان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل أحد غيرهم ، فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه احد)** .

ثم بين رسول الله ﷺ كيف ان الصوم يكون حجاباً بين

صاحبه وبين النار فقال **(ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجههه عن النار سبعين خريفاً).**

وعن ابن عباس ان رسول الله بعث ابا موسى الأشعري على سرية في البحر ، فبينما هم كذلك قد رفعوا القلاع في ليلة مظلمة ، اذا هاتف فوقهم يهتف : يا اهل السفينة ، قفوا اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه . فقال ابو موسى : اخبرنا ان كنت مخبراً .. قال : ان الله تبارك وتعالى قضى على نفسه انه من اعطش نفسه له في يوم صائف سقاه الله يوم العطش) الترغيب والترهيب .

وبين رسول الله ﷺ كيف ان الصوم يشفع لصاحبه يوم الفزع الاكبر فقال **(الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : اي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني به ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني به . قال : فيشفعان) .**

فليجاهد الاخ الداعية نفسه بالصوم فانه من اقوى عوامل تزكية النفس وتصفيتها لتقوى على المضي في ط يق القيامة في حفظ من الله وأمان ..

وصلّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور

وفي الوصية الثانية يحض رسول الله ﷺ على صلاة الليل ، ويبين فضلها وعظيم أثرها في الدنيـــا والآخرة فيقول

(وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور) .

كانت صلاة الليل الوقود الاساسي في موكب النبوة الذي بدأ بـ **(يا أيها المزمل)** وانتهى بـ **(يا ايها المدثر قم فأنذر) .**

فصلاة الليل لا يعدلها زاد ولا مدد .. فهي تمد المؤمنين وترفدهم وتزودهم بطاقات وامكانات فوق مستوى التصور والتقدير .. ذلك انها عطاء من الله ومنة منه ، وصدق الله تعالى حيث يقول (إن ناشئة الليل هي اشد وطئاً واقوم قيلاً) .

ولقد بين رسول الله ﷺ ما لصلاة الليل من فضل عميم فقال **(عليكم بقيام الليل ، فانه دأب الصالحين قبلكم ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الاثم ، ومطردة للداء عن الجسد)** رواه الطبراني والترمذي .

وروى ان جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، عش ما شئت فانك ميت ، واعمل ما شئت فانك مجزيّ به ، وأحبب من شئت فانك مفارقه ، واعلم ان شرف المؤمـــن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس) رواه الطبراني .

فصلاة الليل تعد الاخ الداعية ليكون عبداً ربانياً ، موصولاً بالله ، مشرق النفس ، نير القلب ، حاضر الذهن ، متقد الفكر .

والداعية ان لم يكن متصفاً بهذه الصفات فهو ليس بداعية .. وبلاء الاسلام اليوم في دعاة ليس لهم من مواصفات الدعـــاة وأخلاق الدعاة وسمات الدعاة شيء ..

وصلاة الليل لا يمكن اعتيادها من غير مجاهدة نفس ومبارزة شيطان ومقاومة هوى ، وبخاصة في أول الأمر .. فلقد ورد عن رسول الله ﷺ انه قال (**اذا اراد العبد الصلاة من الليل أتاه ملك فقال له ، قم فقد أصبحت ، فصل واذكر ربك .. فيأتيه الشيطان فيقول ، عليك ليل طويل وسوف تقوم ، فان قام فصلى أصبح خفيف الجسم قرير العين ، وان هو أطاع الشيطان حتى أصبح بال في اذنه**) رواه الطبراني .

ولقد ربط رسول الله ﷺ بين القيام في ظلمة الليل وبين الانس في وحشة القبور (**وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور**) فالذي أنار ليله بعبادة الله وطاعته كان حقاً على الله ان ينير قبره بفضله ورحمته ..

لله ما أجزل العطاء ، ان يكون ثواب العبد من ربه لركعات قامها في الليل نجاته من عذاب القبر .. من ظلمته ووحشته وغربته ؟

وأية وحشة هي تلك الوحشة التي ينجو منها من تتجافى جنوبهم عن المضاجع ..

ولقد تحدث رسول الله ﷺ عن القبر وعذابه فقال (**ان القبر اول منازل الآخرة ، فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر منه ، وان لم ينج منه فما بعده اشد**) .

وقال مجاهد (اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول : انا

بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة ، هذا ما اعددت لك فما اعددت لي ؟)

وقال رسول الله ﷺ **(اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لهما مُنكر ونكير .. فيقولان له ما كنت تقول في النبي ؟ فان كان مؤمناً ، قال هو عبدالله ورسوله أشهد ان لا الله إلا الله وان محمداً رسول الله . فيقولان : انا كنا نعلم انك تقول ذلك . ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراع ، وينوّر له في قبره .. وان كان منافقاً قال : لا أدري كنت اسمع الناس يقولون شيئاً وكنت أقوله . فيقولان ، انا كنا نعلم انك تقول ذلك ، ثم يقال للأرض التئمي عليه حتّى تختلف أضلاعه) .**

ويقول الرسول ﷺ (يؤتى الرجل في قبره – اي بالتضييق – .. فاذا أُتي من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن .. وان أُتي من قبل يديه دفعته الصدقة .. واذا أُتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد) .

ولقد حدث رسول الله ﷺ عن صحف موسى فقال **(كانت صحف موسى عبراً كلها : عجبت لمن ايقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن ايقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن ايقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن اليها ، عجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لا يعمل) .**

وحج حجة لعظائم الأمور

والشحنة الايمانية الثالثة التي يجب ان يتزود بها دعاة الإسلام وهم في سيرهم على درب الآخرة هي حج بيت الله تعالى ..

فمناسك الحج من أقوى المولدات الربانية التي تمد الدعاة إلى الله بطاقات ايمانية هائلة، وتنقّي أنفسهم من رجس الجاهلية ومضلاّت الهوى .. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه) متفق عليه . ويقول (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) متفق عليه .

ولهذا فرض الله تعالى على عباده حج بيته .. وجعله احد أركان الاسلام ، فقال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين) .

وفي الصحيحين عن ابن عمر ان النبي ﷺ قال (بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله إلا الله .. وان محمداً رسول الله .. وإقام الصلاة .. وايتاء الزكاة .. وصوم رمضان .. وحج بيت الله الحرام) .

وروي عن علي انه قال (من قدر على الحج فتركه فلا عليه ان يموت يهودياً أو نصرانياً) .

ان قول الرسول ﷺ لأبي ذر في وصيته (وحج حجة لعظائم الأمور) يفيد الحض على التطوع فضلاً عن الفريضة ..

فقد سن الرسول الاكثار من الحج والعمرة تطوعاً لما ثبت في الصحاح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ (يا ايها الناس ، ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا . فقال رجل ، أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً . فقال رسول الله ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . ثم قال ، ذروني ما تركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على انبيائهم ، فإذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطقم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) .

في ضيافة الرحمن

ان من تكريم الله تعالى لحجاج بيته وعماره ، انه وعدهم الحسنى والمغفرة ، واعتبرهم وفده وضيوفه لما روى عن رسول الله ﷺ قوله (الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ، ان سألوه أعطاهم ، وان استغفروه غفر لهم ، وان دعوا استجيب لهم) ابن حبان .

فاكرم بها من ضيافة .. واكرم بها من وفادة ، في رحاب البيت العتيق ، وفي ظل رحمة الله تعالى ورضوانه ، وفي البقعة المباركة التي هبط فيها الوحي ودرجت عليها أقدام النبوة وحفتها ملائكة السماء .. وإلى هذا أشار الرسول ﷺ بقوله (ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت ان يحجه كل سنة ستمائة الف ، فان نقصوا اكملهم الله عز وجل من الملائكة) وقال عليه الصلاة

والسلام (ينزل على هـذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة .. ستون للطائفين .. واربعون للمصلين .. وعشرون للناظرين) رواه ابن حبان والبيهقي .

الاحرام والتلبية

فبالاحرام .. ينسلخ المؤمن من الاسباب التي تشده إلى ترابيته .. فيمضي حياً بكفن الأموات ، يتساوى مع سائر خلق الله .. فلا مقامات ولا وجاهات ، وانما سواسية كأسنان المشط . يمضي أشعث أغبر ملبياً نداء الرحمن ، مردداً (لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) يرددها وهو خائف وجل ان يقال له (لا لبيك ولا سعديك) فقد روي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما لما أحرم للحج واستوت به راحلته ، اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي . فقيل له ، لم لا تلبي ؟ فقال : (اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك) عن سفيان بن عيينه .

الطواف

وبالطواف .. يتحقق الاتصال بالملأ الأعلى .. فتحاكي الروح ملائكة الله الحافين حول العرش (**وترى الملائكة حافين**

من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ،وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) .

الاستلام

وأما باستلام الحجر الاسود فيدرك الداعية انه مبايع لله عز وجل على طاعته وعلى الجهاد في سبيله .. وانها بيعة ثقيلة (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسوف يؤتيه أجراً عظيماً) .

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول **(الحجر الاسود يمين الله عز وجل في الأرض يصافح به خلقه ، كما يصافح الرجل أخاه)** حديث ابن حبان .

التعلق بأستار الكعبة

وأما التعلق بأستار الكعبة فهو انكسار الحاج بين يدي الله والحاجة الى طلب عفوه ورضاه .. فقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) وقال (أدعوني استجب لكم) .

وعن رسول الله ﷺ انه قال (اذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه) مسند الفردوس للديلمي ، وقال ﷺ (اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء) ابن حبان .

السعي

وأما السعي فانه شدة إلحاح المؤمن في استمطار رحمة الله عليه .. ففي ترداده للدعاء المأثور (رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الأكرم .. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) شعور بالضراعة بين يدي قوي عزيز ..

الوقوف بعرفـــة

وأما الوقوف بعرفة .. فيجب ان يهز النفس هزاً ويشدها شداً لتذكر يوم الحشر (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون) (ان كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) .

ولهذا كان الموقف في عرفة لا يضارعه موقف .. بل لهذا قال رسول الله ﷺ (الحج عرفة) وقال (ان من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة) .

روي عن أحد الصالحين .. (ان إبليس ظهر له في صورة شخص بعرفة ، فاذا هو (ناحل الجسم ، مصفر اللون ، باكي العين ، مقصوف الظهر) فقال له : ما الذي أبكى عينك ؟ قال : خروج الحاج اليه بلا تجارة .. قال : فما الذي أنحل جسمك ؟ قال : صهيل الخيل في سبيل الله ولو كانت

في سبيلي كان أحب الي . قال : فما الذي غير لونك ؟ قال : قول العبد ، اسألك حسن الخاتمة) .

رمي الجمـــار

وأما رمي الجمار فهو تصميم من الداعية على محاربة الشيطان وحزبه ، ومجانبة الهوى ، والاستقامة على شرع الله ..

انه توطيد العزم على المضي في طريق الحق والهدى لا يضره من خالفه حتى يأتي امر الله ..

انه العهد على إفراغ الجهد ، قولاً وعملاً وجهاداً ، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى (الم أعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) .

الذبـــح

وأما ذبح الهدْي .. فهو قُربى إلى الله تعالى من جانب ، وترجيع في النفس لقصة إبراهيم الخليل عليه السلام اذ قال لابنه (يا بني ، اني ارى في المنام اني اذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين) .

وما أحوج الدعاة إلى الله إلى أن يسترجعوا هذه الحوادث والمواقف الايمانية الفريدة .. فهي تمثل قمة الرضى والقبول بقضاء الله تعالى ، بل هي نهاية الاستجابة والاذعان لأمر الله .. وصدق الله تعالى حيث يقول (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم ..)

وتصدق بصدقة واخفها

والوصية الرابعة التي أوصى بها رسول الله ﷺ قوله (وتصدق بصدقة واخفها) .

ان الوصايا الثلاث السابقة ، تتعلق بالنفس ومجاهدتها وتزكيتها ، لتكون نفساً ربانية تفيض بالخير والنور والهدى والطهر على الناس ، وتمشي فيهم بالحق .. أما الوصية الرابعة فهي دعوة إلى ترجمة التزكية النفسية إلى عمل ، وإلى تحويل الايمان لى فعل ايمان ..

ويبدو ان الانفاق في سبيل الله ، والجهاد بالمال ، اصدق دليل على عافية النفس وصحتها .. وان الشح والبخل والإمساك دليل مرضها وسقمها ..

ولهذا جاءت صفة الانفاق ملازمة لصفة الايمان في أكثر من آية ، بل في عدد كبير من الآيات القرآنية، من ذلك قوله: (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)

البقرة ٢ وقوله (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الانفال ٣ وقوله (الذين اذا ذُكر الله وجلت قلوبهم ، والصابرين على ما أصابهم ، والمقيمي الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون) الحج ٣٤ .

وفي آيات أخرى حض القرآن الكريم على الانفاق كوسيلة لتربية النفس على حب الخير وايثار الآخرين وبذل المعروف وتحسس الآلام . فقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) البقرة ٢٦٧ وقال (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) البقرة ٢٥٤ .

وهكذا يحفل القرآن الكريم بعدد كبير من الآيات التي تحض المؤمنين على الانفاق مما يؤكد ان بذل المال وانفاقه في سبيل الله أحد أبرز الآثار الدالة على الايمان ..

ان على دعاة الاسلام ، وهم يبذلون الكلمة الطيبة للناس من أفواههم وقلوبهم ، ان يلبوا نداء الجهاد بالبذل من جيوبهم ، كيما يتلازم الجهادان ، جهاد النفس وجهاد المال (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .

والذين تفيض نفوسهم خيراً . وجب ان تفيض جيوبهم سخاء وعطاء .. فسماحة اليد من سماحة النفس . وامساك اليد من إمساك النفس وضيقها ..

ان جهاد اللسان سهل وقد ينهض به الكثيرون من غير عناء.. بل قد يقبل عليه كل من يطمع بالحظوة والوجاهة بين الناس .. أما جهاد المال فصعب على النفوس المشدودة إلى الأرض التي تخاف الانفاق خشية الفقر ، وصدق الله تعالى حيث يقول (يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد . الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم . يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا اولوا الألباب . وما أنفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار . ان تبدوا الصدقات فنعما هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) البقرة ٢٦٧ – ٢٧١ .

ولهذا جاء وصف المؤمنين في كتاب الله (وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) .

وان من التوجيهات النبوية في بيان عاقبة البخل والكرم ومقام الممسك والمنفق قوله ﷺ (كل يوم ينزل ملكان من السماء يقول أحدهما : اللهم اعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر :

اللهم اعط ممسكاً تلفاً) . وعنه ﷺ في الحديث القدسي (انفق يا ابن آدم ينفق عليك) وصدق الله العظيم حيث يقول (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) .

وقل كلمة حق او امسك عن كلمة باطل

والوصية الخامسة والأخيرة من حديث رسول الله ﷺ لأبي ذر تتعلق باللسان ، واثره وخطره ، ولزوم حفظه وصونه ، ومراقبته ودوام الحذر منه ، قال تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) .

فاللسان على الرغم من انه اصغر عضو في جسم الانسان ، إلا أن خطره كبير وشره مستطير ان لم يلجم بلجام التقوى ..

فكم من مقامات سقطت إلى الدركات بسبب من زلات اللسان ؟

وكم من فتن وقعت وخلافات استشرت وأحقاد انتشرت وكوارث حلت بسبب من حصائد الالسن (وهل يكب الناس على وجوههم في جهنم إلا حصائد السنتهم) ؟

ولهذا كان رسول الله ﷺ يحذر من خطر اللسان فيقول (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت) البخاري ومسلم – ويقول (ان العبد يتكلم بالكلمة ما يتبين

فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) البخاري ومسلم .

وكان رسول الله ﷺ يوصي المسلمين بعدم الاكثار من الكلام .. وحفظ اللسان عنه إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه .. ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه ، لأنه قد يجر صاحبه إلى ما هو حرام ومكروه،والسلامة لا يعدلها شيء . فقال رسول الله ﷺ (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب ، وان أبعد الناس من الله تعالى ذو القلب القاسي) الترمذي .

ولقد بين رسول الله ما للسان من أثر على الإنسان وعلى سلوكه وتصرفاته ، وان في استقامته استقامة الجسد كله ، وفي انحرافه انحراف الجسد كله ، فقال (اذا أصبح ابن آدم فان الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول : اتق الله فينا ، فانما نحن بك ، فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا) رواه الترمذي .

فوصية رسول الله ﷺ في شطرها الاول (وقل كلمة حق) انما هي تحريض على قولة الحق .. ومن اولى من دعاة الاسلام بقولة الحق ؟

ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قول الحق ، يجدر بدعاة الاسلام ان يقوموا به لقوله ﷺ (كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا امراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ،

أو ذكراً لله تعالى) الترمذي وابن ماجة .

ودوام ذكر الله تعالى والثناء عليه وطلب رضوانه وغفرانه من قول الحق ، وحريّ بدعاة الاسلام ان يعودوا أنفسهم عليه ليكونوا معنيين بقوله ﷺ (ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالا يرفع الله تعالى بها درجات) البخاري .

والنصح للمسلمين والتواصي بالحق والتواصي بالصبر من قول الحق حريّ بدعاة الاسلام ان ينهضوا به لقوله تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

والصدع بالحق في وجوه الطغاة والمفسدين ، من قول الحق الذي امر به الله ورسوله ، فقال تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وقال ﷺ (امرت ان أقول الحق ولو كان مراً) وقال (امرت ان أقول الحق لا أخشى في الله لومة لائم) وقال (افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) .

أما الشطر الثاني من وصية الرسول ﷺ وهو قوله (او كلمة شر تسكت عنها) فهي دعوة إلى حفظ اللسان عن ان يرتع في الحرام والشبهات والسيئات . ودعاة الاسلام احوج الناس إلى حفظ السنتهم عن كل ما يؤدي إلى سفهها وانحرافها وسقوطها .

ان عليهم ان يصونوا السنتهم عن **غيبة** الآخرين في دينهم او ابدانهم او اعراضهم او خلقهم او دنياهم او سائر تصرفاتهم سواء كانت فيهم هذه الخصال ام لم تكن .. وليسمعوا إلى وصية رسولهم ﷺ في حجة الوداع حيث يقول (ان دماءكم واموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت) البخاري ومسلم ويقول (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

كما ان عليهم ان يحذروا **النميمة** فانها مجلبة للفتن موقعة للشحناء والبغضاء ، مجلبة لسخط الله تعالى ، فقد قال ﷺ (لا يدخل الجنة نمام) البخاري ومسلم .

ودعاة الاسلام اولى الناس باجتناب **فاحش** الكلام وبذيئه لقوله ﷺ (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) الترمذي .

ودعاة الاسلام اولى الناس بالحذر من **السخرية والاستهزاء** بالآخرين استجابة لأمر الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابذوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) .

ودعاة الاسلام اولى الناس بحفظ السنتهم من عادة **التقعر** باللسان . والتقعر هو التشدق وتكلف السجع والفصاحة وتصنع

زخرف القول لقوله ﷺ (ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة) الترمذي ، ولقوله (وان أبغضكم إلي وابعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون) الترمذي .

ودعاة الاسلام اولى الناس بحفظ السنتهم عن قول الزور الذي اعتبره الإسلام من الكبائر لقول الرسول ﷺ (الا انبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال ، ألا قول الزور وشهادة الزور ، فما يزال يكررها حتى قلنا ليته سكت) البخاري ومسلم .

ودعاة الاسلام اولى الناس بالمحافظة على دين المسلمين وعدم تجريحهم او تكفيرهم لقول الرسول ﷺ (اذا قال الرجل لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فان كان كما قال والا رجعت عليه) البخاري ومسلم .

ودعاة الاسلام اولى الناس بحفظ السنتهم عن المراء والجدال والخصومة لقول الرسول ﷺ (من ترك المراء وهو محق بُني له بيت في وسط الجنة) .

ودعاة الاسلام اولى الناس بتحري صادق الكلام ، خشية الوقوع فيما يعتبر كذباً . فقد قال رسول الله ﷺ (كفى بالمرء كذباً ان يُحدّث بكل ما سمع) رواه مسلم .

انه لا يليق بألسنة الدعاة التي تلهج بذكر الله تعالى ان تتحرك بما يسخطة !

وان الأفواه التي ارادها الله تعالى مستودعاً للعلم والطهر والكلم الطيب يجب ان يصونها الدعاة من الدنس والعهر والكلم السيء ..

وصدق الله تعالى حيث يقول (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

الموضوع الرابع

قواربُ النجاة في حياة الدعاة

- قارب معرفة الله
- قارب عبادة الله
- قارب ذكر الله
- قارب الخوف من الله
- قارب مراقبة الله
- قارب حب الله
- قارب الاخلاص لله
- قارب الرضى
- قارب حب الرسول وصحابته

قوارب النجاة في حياة الدعاة

حياة الدعاة ، حياة معاناة .. معاناة مع النفس والناس .. مع أبناء الاسلام ومع اعداء الاسلام ..

والدعوة إلى الاسلام ، دعوة جهاد وكفاح .. لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ..

والدعوة والدعاة – في صراعهم مع الباطل – اشبه بسفينة وسط أمواج عاتية (او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه ، موج من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) ولهذا كان رسول الله ﷺ يجأر يوم بدر بالدعاء إلى الله وهو يقول : (اللهم نصرك الذي وعدتنا .. اللهم ان تهلك هذا العصابة لن تعبد في الأرض) .

ولقد قيض الله للدعاة قوارب للنجاة – وسط هذه المهالك

ان هم استهموها اقلتهم إلى شاطىء الأمان ، وانجتهم من التيه والشرود والضياع (أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله قليلاً ما تذكرون .. امّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يُرسل الريح بُشراً بين يدي رحمته ؟ أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون) (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

واليكم بعض هذه القوارب التي أعدها الله لعباده المتقين وانعم بها على دعاته المخلصين :

* **قارب معرفة الله** : وهو قارب النجاة من كل ضلالة وانحراف .. فالذي يعرف الله تعالى يعرف بالتالي الطريق إلى كل خير ، ويجتنب بالتالي أسباب الوقوع في الشر ..

فمعرفة الله أول طريق السالكين .. ومنطلق سبيل المسترشدين .. والحصانة من كل سوء ، والأمان من كل زيغ .. وهذا صميم معنى قوله تعالى على لسان نبيه (يا ابن آدم ، اطلبني تجدني .. فان وجدتني وجدت كل شيء .. وان فتّك فاتك كل شيء .. وانا أحب اليك من كل شيء ..)

ومعرفة الله انما تتحقق وتتزايد وتتعمق ، بتزايد الاطلاع على خلقه ، والادراك لصنعه وقدرته وفضله وآياته البينات فيما كان وفيما سيكون (يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا

له .. ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له . وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعُف الطالب والمطلوب .. ما قدروا الله حق قدره ، ان الله لقوي عزيز) (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون) .

والدعاة إلى الله يجب ان يقدروا الله حق قدره .. ويعرفوه حق معرفته .. يعرفوا طريق الوصول اليه ، والتقرب إلى جلاله .. يعرفوا ما يرضيه وما يسخطه ، وما يدنيهم منه ، وما يبعدهم عنه .. يعرفوا ذلك ، ليس لذات المعرفة وانما للتقيد والالتزام لتزكية النفس وتخليتها وترقيتها حتّى تبلغ درجة الربانية (ولكن كونوا ربانيين بما كنتّم تعلمون الكتاب وبما كنتّم تدرسون) آل عمران ٧٩ .

من أجل ذلك كان مقام العارفين عند الله عظيماً وأجرهم كبيراً مصداقاً لقول الرسول ﷺ (أكثر أهل الجنة البله ، وعليّون لذوي الألباب) متفق عليه [١] .

---

(١) يرشح للمطالعة في هذا الموضوع الكتب التالية :
- العالم يدعو الى الايمان .
- الله يتجلى في عصر العلم .
- مع الله في السماء – للدكتور أحمد زكي .
- الله – لسعيد حوى
- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن – لحنفي أحمد .
- الطب في محراب الايمان .
- مشاهد القيامة – لسيد قطب .

* **قارب عبادة الله** : وهو قارب النجاة من الغرق في بحر الضلالات ، وسبيل النجاة من الآفات والانحرافات .. فالعبادة وإحسانها والدوام عليها والإكثار منها ، تنظم الصلة بالله وتحسنها وتديمها .. والموصول بالله يبقى على مدد من الله وعون منه وعناية ..

ومثل الموصول بالله كمثل الطائرة المسترشدة في طيرانها ببرج المراقبة ، فاذا انقطعت هذه الصلة تاهت الطائرة في الفضاء وانحرفت عن خط سيرها ، وتعرضت للأخطار والمهالك . او كمثل السفينة الموصولة بنقطة المراقبة في الميناء ، اذا انقطعت صلتها تاهت في البحار وغرقت في لجة ليس لها قرار ..

ولهذا كان من عطاء الله تعالى لخلقه ، ومن منّه وكرمه عليهم ، ان نظم لهم وفرض عليهم خمس مواعيد – في اليوم والليلة – لتأكيد الصلة به ، تحفظهم على تباعد فتراتها من الضياع سحابة نهارهم .. كما حثهم على الاستزادة من هذه الصلاات تنفلاً في الليل والنهار ، صلاة وصياماً وزكاة وحجاً .. وإلى ذلك يشير الله تعالى على لسان نبيه (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب .. وما تقرب إلي عبدي بشيء احب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه .. فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به .. وبصره الذي يبصر به .. ويده التي يبطش بها .. ورجله التي يمشي بها .. وان سألني لأعطينه .. ولإن استعاذني لأعيذنه .. وما ترددت عن شيء

أنا فاعله ، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته)[1] .

* **قارب ذكر الله :** وهو قارب النجاة من الغرق في بحر الشكوك والوساوس والقلق والاضطراب وسائر الأمراض النفسية ..

ان ذكر الله يبعث على الطمأنينة والسكينة والثقة والارتياح . وصدق الله تعالى حيث يقول (فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) (ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكى) (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب) (افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، اولئك في ضلال مبين) .

وذكر الله يبعث على الشجاعة والجرأة والإقدام ، لأنه يشعر المؤمن بأن الله معه .. هذا الشعور من شأنه ان يولد في النفس من القوى والطاقات ما يدفع بصاحبه لمواجهة كل

---

(١) كتب مرشحة للمطالعة حول هذا الموضوع :
- احياء علوم الدين (الجزء الأولى) .
- مدارج السالكين – لابن قيم الجوزية .
- العبادات في الاسلام – لمحمد اسماعيل عبده .
- روح الصلاة في الاسلام – لعفيف طبارة .
- رسالة الصلاة صلة بين العبد ومولاه – لأحمد الرفاعي .

التحديات ومجاوزة كل العقبات بكل ثقة واطمئنان ..

ان لكل نفس شيطاناً .. وان شيطان النفس ينفث فيها الخوف والفزع ويحرك الهواجس والوساوس (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوّف اولياءه ، فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)[1] .

* **قارب الخوف من الله** : وهو قارب النجاة من الغرق في بحر الجبن والخوف والمعاصي والآثام ..

كان محمد بن عبدالله ﷺ ، وهو رسول الله ، والمؤيد بالوحي ، يقول (انا اخوفكم لله) البخاري — ويقول (والله اني لأخشاكم لله واتقاكم له) البخاري — وجاء في الخبر : ان الله تعالى اوحى إلى داود عليه السلام (يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري) .

فالذي يخاف الله تعالى يتقي سخطه ويخشى عذابه ويتحاشى

---

(١) كتب مرشحة للمطالعة حول هذا الموضوع :
— احياء علوم الدين (الجزء الثالث) .
— رسالة المسترشدين (للمحاسبي) .
— الترغيب والترهيب (الجزء الثاني — كتاب الذكر والدعاء) .

الوقوع في محارمه ..

والذي يخاف الله تعالى يقذف الله في قلبه الجرأة والشجاعة والعزة ، فلا يجبن عند لقاء العدو ، ولا يتهيب عند مواجهة الطغاة ، ولا يستحي من الصدع بالحق .. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (من خاف الله تعالى خافه كل شيء ، ومن خاف غير الله تعالى خوفه الله من كل شيء) رواه ابن حبان والبيهقي .

والذي يخاف الله تعالى يغدو أطهر الناس قلباً ، وازكاهم نفساً وأدمعهم عيناً وأسخاهم يداً.. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك ، قبل ان تصير الدموع دماً) للطبراني .

والذي يخاف الله تعالى تستديم مراقبته له ، وحذره من التفريط في جنبه ، ولا يأمن مكره (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) وقد روي ان النبي وجبريل عليهما السلام بكيا خوفاً من الله تعالى ، فأوحى الله اليهما : لم تبكيان وقد امنتكما ؟ فقالا : ومن يأمن مكرك) .

ولشدة الخوف من الله :

– قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لطائر : ليتني مثلك طائر ولم اخلق بشراً .

– وقال ابو ذر الغفاري رضي الله عنه : وددت لو اني شجرة تعضد ..

– وقال عثمان رضي الله عنه : وددت اني اذا مت لم ابعث ..

– وقالت عائشة رضي الله عنها : وددت اني كنت نسياً منسياً ..

– وروي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف مغشياً عليه اذا سمع آية من القرآن . وأخذ يوماً (تبنة) من الأرض فقال : يا ليتني كنت هذه التبنة .. يا ليتني لم اك شيئاً مذكوراً .. ياليتني كنت نسياً منسياً ... ليتني لم تلدني امي ..

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال : قلوبهم بالخوف فرحة ، واعينهم باكية . يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدي الله ربنا موقفنا ؟ .

وكان رسول الله ﷺ يقول (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) [1] .

قارب مراقبة الله تعالى : وهو قارب لنجاة من الغرق في بحر الشبهات والانحرافات والشهوات .. فالذي يراقب الله تعالى يسد على الشيطان مداخله إلى نفسه ، والغافل عن المراقبة واقع في خياطيم الشياطين .. جبهت نفسه ضعيفة .. مقاومته كليكة . مناعته معدومة (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً

---

(١) للمطالعة : احياء علوم الدين (الجزء الرابع– كتاب الخوف والرجاء) .

فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) .

ولقد سبق الكلام عن مراقبة الله في موضع آخر من هذا الكتاب) [1] ..

قارب حب الله : وهو قارب النجاة من الغرق في بحر حب الدنيا والتعلق بحطامها واللهث وراء متعها وشهواتها .. وقد قال عيسى عليه السلام (من اتخذوا الدنيا لهم رباً اتخذتهم عبيداً) .

فالذي تعلق قلبه بالله لا يطغي عليه حب ما عداه .. واذا احب احب في الله ، سواء كان حباً لأخ او زوج او ولد او لأي انسان من الناس .. وصدق الله تعالى حيث يقول (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين) .

وقال رسول الله ﷺ : (لا يبلغ العبد درجة الايمان حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما) .

ولقد كان من ادعية الرسول ﷺ (اللهم اني اسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني الى حبك) .

---

(١) للمطالعة : احياء علوم الدين (الجزء الرابع – كتاب المراقبة والمحاسبة) .

وان من مقتضيات حب الانسان لربه انشغاله به ، وتلذذه بعبادته ، وتلهفه إلى مناجاته . وروي عن بعض السلف (ان الله تعالى اوحى إلى بعض الصديقين : ان لي عباداً من عبادي يحبوني واحبهم .. ويشتاقون الي واشتاق اليهم .. ويذكروني واذكرهم .. وينظرون إلي وانظر اليهم .. فان حذوت طريقهم احببتك ، وان عدلت عنهم مقتك . قال : يا رب ، وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفق غنمه .. ويحنّون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب .. فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، نصبوا إلي اقدامهم ، وافترشوا إلي وجوههم ، وناجوني بكلامي ، وتملقوا إلي بإنعامي .. فبين صارخ وباك ، وبين متأوه وشاك ، وبين قائم وقاعد ، وبين راكع وساجد . بعيني ما يتحملون من أجلي ، وبسمعي ما يشتكون من حبي .. اول ما أعطيهم ثلاث :
١ — اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ٢ — لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم ٣ — اقبل بوجهي عليهم ، فترى من اقبلت عليه هل يعلم احد ما اريد ان اعطيه .. [١]

قارب الاخلاص لله : وهو قارب النجاة من الغرق في بحر النفاق والشرك والرياء وحب الظهور وبوار الأعمال ..

والداعية في عمله ونشاطه .. في كتابته وخطابته .. في

---

(١) للمطالعة : احياء علوم الدين (الجزء الرابع — كتاب المحبة والشوق) .

جهاده وجلاده ، احوج ما يكون إلى الاخلاص حفاظاً على أعماله من البوار ، وحتّى لا يكون معنياً بقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) .

فلا بد للداعية بين يدي كل عمل ، من تصحيح النية ، وتقويم القصد ، وتصفية النفس .. وليكن ذكراه في ذلك قول الرسول ﷺ (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر اليه) متفق عليه .

فالاخلاص لله تعالى هو صمّام الأمان في حياة المؤمنين .. به تزكو أعمالهم ، وتضاعف أجورهم ..

فبالاخلاص ، تكون الأعمال والأقوال .. تكون العبادة والتعليم والتعلم .. يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. يكون الانفاق والاحسان .. يكون الجهاد والبذل والتضحية .. يكون كل ذلك في ميزان العبد يوم القيامة .. ولقد روي عن ابي الدرداء عن رسول الله ﷺ قال (ان الإتّقاء [1] على العمل أشد من العمل .. وان الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعّف أجره سبعين ضعفاً ، فلا يزال به الشيطان حتّى يذكره للناس ويعلنه ، فيكتب علانيةً ويمحي تضعيف أجره كله .. ثم لا يزال به الشيطان حتّى يذكره

(١) التقوى والاخلاص في العمل وكتمانه لله وعدم اذاعة فضله .

للناس الثانية ، ويحب ان يذكر به ، ويحمد عليه ، فيمحى من العلانية ، ويكتب رياءً . فأتقى الله امرؤ صان دينه . وان الرياء شرك) رواه البيهقي .

فدعاة الاسلام مدعوون للخروج من ذواتهم وحظوظ أنفسهم .. مدعوون إلى تنقية السرائر قبل الظواهر .. فكم من أعمال كبيرة أفسدتها خواطر صغيرة وحقيرة . وكم من مكابدة ومجاهدة ضيعتها رغبات مشوبة فاسدة .. وهذا مناط قوله ﷺ (ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا سول الله ؟ قال : الرياء يقول الله عز وجل اذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء) رواه احمد باسناد جيد .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال .. قال رجل يا رسول الله : اني اقف الموقف اريد وجه الله ، واريد ان يُرى موطني .. فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) رواه الحاكم [1] .

قارب الرضى : وهو قارب النجاة من الغرق في بحر الطمع والحسد والضيق والتشاؤم ..

فالرضى سمت اصيل من سمات المؤمنين .. لا يكتمل

---

(١) للمطالعة في موضوع الاخلاص : — الترغيب والترهيب — الجزء الأول .
— احياء علوم الدين — الجزء الرابع .

الايمان إلا به .. ولقد روى ان رسول الله ﷺ دخل على الأنصار فقال (اموٌمنون انتم ؟ فسكتوا . فقال عمر : نعم يا رسول الله . فقال ﷺ : وما علامة ايمانكم ؟ قالوا : نشكر على الرضا .. ونصبر على البلاء .. ونرضى بالقضاء .. فقال رسول الله ﷺ مؤمنون ورب الكعبة) .

ودعاة الاسلام احوج الناس إلى الرضى بما قسم الله من خير وشر ..

ففي مواجهة البلاء وجب ان يكونوا راضين ، محتسبين ما يصيبهم عند الله ، ذاكرين قول رسوله ﷺ (ان عِظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوماً ابتلاهم . فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط) .

وفي ابتغاء فضل الله من الرزق وجب ان يكونوا راضين قانعين بما قسم الله لهم .. فالرزق بيد الله يؤتيه من يشاء .. وليجعلوا همهم رضاء الله تعالى ، وليذكروا قول رسوله ﷺ (من جعل الهم هماً واحداً كفاه الله هموم الدنيا جميعاً ، ومن تشعبته الهموم لا يبالي الله بأي واد من اودية الدنيا هلك) وليتدبروا قول الله تعالى (ولا تمدن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) .

قارب حب الرسول ﷺ : وهو قارب النجاة من الغرق في تيارات الهوى وسبل الغواية ومسالك الشيطان (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن

سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) (قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعن وسبحان الله وما انا من المشركين) (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

ان حب الرسول ﷺ يجب ان يدفع إلى تحري سنته ، وإلى الالتزام بشريعته .. إلى العيش معه ﷺ في عسره ويسره ، في حياته الخاصة والعامة .. وإلى الاقتداء به ، امتثالاً لقول الله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

-- إن حب الرسول ﷺ يجب ان يكون لدى الدعاة اقوى من حب الأهل والولد والناس اجمعين .. وليعلموا ان المسلمين الأولين لم يكونوا خير أمة أخرجت للناس إلا بعظيم حبهم لرسولهم .. فهذا سعد بن الربيع يلتفت إلى زيد بن ثابت يوم أحد وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ويقول : (بلّغ رسول الله السلام وقل له اني اجد ريح الجنة وقل لقومي الانصار ، لا عذر لكم عند الله ان خلص إلى رسول الله وفيكم عين تطرف وفاضت نفسه من وقته .

وهذه امرأة من الأنصار قُتِل (ابوها وأخوها وزوجها) يوم أحد . فلما أُخبرت بذلك قالت : ما فُعل برسول الله ؟ قالوا : خيراً .. هو بحمد الله كما تحبين . قالت ارونيه حتى انظر اليه .. فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلَل ؟

وهذا مصعب بن عمير يقبل على امه التي اقسمت ان لا

تذوق طعاماً قط حتى يترك دين محمد فيقول لها : والله يا اماه لو كانت لك مائة نفس خرجت نفساً نفساً ما تركت دين محمد !

وهذا سواد بن غزية يضم رسول الله ﷺ يوم بدر وهو يجهش بالبكاء .. وعندما يسأله المصطفى ﷺ عن سبب ذلك يقول : حضر ما ترى يا رسول الله ، فاردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك ..

وهذه ام حبيبة زوج الرسول ﷺ ، يدخل عليها أبوها ابو سفيان ولما يسلم بعد ، ويهم بالجلوس على فراش هناك فتمنعه من ذلك .. وعندما يسألها عن السبب متعجباً تقول له : انه فراش رسول الله وانت رجل مشرك نجس ، فلم أحب ان تجلس على فراش رسول الله .. [1]

ويدخل في باب حب الرسول ﷺ حب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وحب الصالحين عموماً واقتفاء آثارهم .. فقد أخرج رزين عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً (سألت ربي عن اختلاف أصحابي من بعدي ، فأوحى إلي : يا محمد ، إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم من السماء بعضها أقوى من بعض ولكل نور .. فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى) وقال : (اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) للمطالعة : حياة الصحابة (الجزء الثاني ص ٥٧١ – ٥٩١) .

الفهرس